المحور الأول

راهن ومستقبل اللغة العربية في أوطانها

لغتنا العربية : الوظيفة والأداء على ضوء
صراع النخب حول مطلب الحداثة ورفض التغريب

د. محمد العربي ولد خليفة (جامعي)

المحاور

أولا : تمهيد

ثانيا : الظاهرة اللسانية في المجتمع والثقافة

ثالثا :كيف تمّ تلقين الفرنسيّة في مدرسة الفصل العنصري التحقيرية؟

رابعا : الصراع المفتعل بين العربيّة والأمازيغيّة صفقة رابحة للغة غازية.

خامسا : للحداثة بداية ولها مسار بلا نهاية .

سادسا : المصالحة الثقافية هل هناك بديل آخر؟

سابعا :الكنيسة. . .التجديد والأعداء من الداخل.

ثامنا : تجارب للحداثة بلا توطين.

خلاصة : مجتمع الحداثة وحداثة المجتمع.

إحالات

ملحق رقم –1– منهجية عمل المجلس ولمحة عن أدائه.

ملحق رقم –2– عينة من إصدارات المجلس 2000–2008.

أولا : تـمهيد

تبدو المسألة اللغوية في الجزائر أكثر تعقيدا مما هي عليه في الجوار المغاربي والجناح المشرقي من الوطن العربي، بسبب محنة الاحتلال الاستيطاني الطويل وسياسات التخريب المعنوي لثقافتنا وتراثنا بهدف الاستيلاء على أرض بلا شعب أو بشعب في حال أبورجين أستراليا الذين اعتذرت لهم حكومة سيدني وتنوي تعويضهم عن معاناة أجدادهم (تمّ القضاء على لسانهم وثقافتهم، ولا وجود لتراثهم خارج المتاحف).

1– إذا قاربنا تلك المسألة ونحن في صميمها أي يصعب علينا إدعاء الموضوعية الصارمة، وكأننا ندرسها من خارجها، وهذه إحدى المعضلات المنهجية في كل علوم المجتمع التي هي علم الإنسان بالانسان، فإننا نرى أن اختلاط المفاهيم والانشطار الحاد داخل النخب الجزائرية يرجع إلى ما يلي:

1-1- ابتعاد كثير من المقاربات الصادرة بالعربية (وقد أوردنا نماذج منها في مؤلف المسألة الثقافية :2007) ، ابتعادها عن توصيف وتحليل الواقع اللساني في الجزائر كما هو عليه في الواقع قبل الانتقال إلى ما ينبغي أن يكون عليه، فلا علاج قبل التشخيص.

1-2- إغفال العديد من الكتاب الجامعيين والإعلاميين لتاريخية الوضعية اللغوية في الجزائر خلال حقبة الاحتلال الإجرامية التي وحدت منذ نهاية الثلث الأول من القرن 19 بين العقيدة واللسان وجعلت منهما معا آلية دفاعية وقلعة للمقاومة وربما يكون شعبنا في كل مناطق البلاد الأكثر تقديسا للحرف العربي أثناء تلك الحقبة ومازالت تلك المسلكية تشاهد في بعض القرى والبوادي، وقد خصص الطبيب المناضل فرانتز فانون (F. Fanon) قسما من دراسته عن سوسيولوجيا الجزائر أو العام الخامس لثورة التحرير لتفسير ظاهرة التقديس باعتبارها الجدار الفاصل بين أهل البلاد الحقيقيين والطغمة المستوطنة من الأروبيين.

1-3- اعتقاد البعض ببقاء تلك الوظيفة الدفاعية بعد تعاقب جيلين ما بين 1962 و2008، وقد أدى سوء الفهم وقلة منابر الحوار إلى فصام وتجاهل وأحكام قيمية وتعميمات ارتجالية وإقصاء متبادل وكأن بين نخبة شعب واحد ستارًا حديديًا نفسيًا ذهنيًا يحمل كل طرف للآخر مجموعة من الصفات المنفرة تتراوح بين الأركائكية والأصولية وتصل إلى «الحركة» أو الطابور الخامس والسؤال الأهم هو كيف نكسر هذا الستار الحديدي؟ وهل نأمل ذلك على يد جيل المدرسة الجزائرية؟ أي نعفي النخب الراهنة ونلقى بالمسؤولية على كاهل جيل قادم لكن ماذا علينا أن نفعل نحن اليوم لتتخلص أجيال الغد من مراهقة مرضية (باتولوجية) ولا تطرح السؤال المخجل ومؤداه من أنا؟ من نحن؟ وما هي هويتنا الجماعية؟ في تعددية ثقافية (تيارات ومدارس فكريّة) لا تطمس المشتركات الوطنية وتغلّب عليها الخصوصيات المحلية والجهوية إن ذلك المطلب يعتبر في رأينا هدفا حيويا فلا بقاء للشعب والأمة إذا فقد المجتمع تجانسه وانسجامه.

2– تظهر أحكام القيمة غير المؤسسة عند كاتب يعيش في المهجر (فرنسا) يحاكم الواقع اللغوي في الجزائر بطريقة تشبه انطباعات سائح يحكم على شعب وثقافته من خلال التجول بضعة أيام في شوارعه وأسواقه، يقول السيد سليمان بن عيسى: اللغتان المكتوبتان هما العربية الفصحى بعد انتشار الإسلام والفرنسية بعد الاستعمار، الأولى (العربية) لغة مقدسة والثانية دنيوية.

2-1- لو قارنا بين الموقف والمنتوج الإبداعي للسيد بن عيسى وبين كل من إيليا أبي ماضي وجبران خليل جبران، لتبينت لنا أهمية إدراك وظيفة اللغة في البناء الفكري والأداء التواصلي، لقد أبدع جبران وأبو ماضي باللغتين العربية والانكليزية وهما في المهجر بينما ضاع بن عيسى في دهاليز التاريخ الكولونيالي وشرب من مياهه الملوثة فأصيب بفقدان الذاكرة (الأمنيزيا) كما يقول « ميمي » (A.memmi) عن أدب الضفتين (1999) .

2-2- هناك أدباء ومفكرون من أعلى طراز أتقنوا لغتين أو أكثر لهم قدم راسخة في لغة الضاد ولغة الأجداد واستئناس بلغة موليير أو شكسبير وغيرها أضافوا إلى أدبياتنا روائع من الإبداع نذكر منهم على سبيل المثال وليس الحصر الكاتب مرزاق بقطاش، ومنهم من قدم إلى العربية إبداعا مثل طاهر وطار وبوجدرة لا تساويه ألاف الخطابات الانفعالية والمرثيات التي تندب حظ العربية على حائط مبكى لا يجيب .

3- سبقت وعاصرت أولئك المبدعين قائمة طويلة من العلماء والأدباء والباحثين في الجامعات والجمعيات الثقافية وقد سمحت ندوة «البرمجيات بالعربية : الطريق نحو الإدارة الإلكترونية» وندوة «الطريق نحو مجتمع المعرفة وتوطينها بالعربيّة» اللتان عقدهما المجلس في نهاية السنة الماضية 2007 وحضرهما رئيس الحكومة في تلك السنة، لقد كشفت تلكما الندوتان عن كفاءات شابة على مستوى عال من التحكم في علوم الحاسوب والبرمجيات والإدارة والتجارة الإلكترونية باللغة العربية .

فتيان وفتيات يعملون في صمت ولا تراودهم أوهام الهروب إلى الشمال وموقفهم الثابت «هنا يحيى قاسي» . ويرفضون أن تبتلعهم أمواج المتوسط أو يتسوّلون الحساء أو الشوربة الشعبية على نواصي الشوارع الأوربية، وبيع الذمم في أسواق النخاسة وبأي ثمن .

ينبغي التأكيد على أن التحكم في لغة أخرى فرنسيّة أو غيرها، لا يعني أن مستعملها أجنبي أو غير وطني، وعلى الرغم من أن اللغة ليست أداة محايدة بالنظر إلى ما تحمله من ثقافة وفلسفة في الحياة، فإن استعمال لغة أخرى للتواصل والتبليغ يعني القيام بخطوة نحو الآخر، لتسهيل التفاهم والتعايش السّلمي بين الأمم، مع الاحتفاظ بالحق في الاختلاف الثقافي والانتماء الحضاري .

خصوصية واختلاف تدافع عنه فرنسا بقوّة منذ دورة الأورغواي Urgway round سنة 1986 تحت اسم الاستثناء الثقافي، ولكنها لا تتقبل الاستثناء والخصوصية إذا تعلق الأمر بمستعمراتها السابقة، وخاصة الجزائر التي يتباهى البعض بأنها في المرتبة الثانية بعد المتروبول فرانكوفونيا، ماذا كسبنا نحن من هذه المرتبة؟ أم هو غفلة واستهواء أوشك أن يحقق لقوّة الاحتلال مشروعها الأصلي ابتلاع ثمّ إدماج انتقائي (Annexion assimilation) .

1– نحن لا نقسو على أنفسنا في الحرص على هويتنا ولغتنا الجامعة (ملحق 1 و2) ولا نتحرش بأي طرف آخر عندما نرفض وصايته علينا، لقد استخلص شعبنا هويته بتضحيات جسيمة، ولم تكن الهوية مجرّد ميراث، ولكن يتبقى أن وضع العربية عندنا وخاصة النظام المدرسي حتى نهاية الثانوي، ليس أسوأ مما هو عليه في البلاد العربية الأخرى، بما فيها منطلقها الأول التي يغزوها التعجيم لسانا وثقافة، وتتراجع منظوماتها التربوية إلى تعميم اللغات الأجنبية من مدارس الحضانة إلى الجامعات إلى لافتات الشوارع وبعض نوادي ما يعرف بالمجتمع المخملي (J.Set)، ولولا التأشيرة لتشكك الزائر في إسم البلد الذي يزوره .

2– لقد تصاعدت هذه النكسة بعد 1967 (R.Naba 2006) وما تلاها من هزائم وتفريط أدى إلى تصفية مكاسب حركة التحرر الثقافي السياسي وتأسيس واقعية الحضيض والخضوع بلا قيد ولا شرط للطغيان الأمريكي وحليفه الإسرائيلي، وتم وضع المنطقة كلها في قفص الاتهام بالإرهاب بعد 11 / 9 / 2001 وانشغال الساسة والنخب بالتبرؤ من التهمة وإظهار التسامح والدعوة لحوار الديانات والثقافات، ولكنها دعوة تصدر من الأضعف ليتلذذ بها الأقوى ويطالب بمزيد من الخضوع والتنازلات .

3– تشهد بلادنا سلسلة من التحولات المتلاحقة، تزايدت سرعتها في العشرية الأولى من هذا القرن، تتداخل مع تغيرات أخرى كونية، أشبه بالأمواج العارمة تشمل العالم كله، وتقودها عولمة فوقية تنزل من دول المركز « Coore states » (شمال أمريكا – غرب أروبا – جنوب شرق آسيا) وتتساقط على الأطراف، أي العالم الثالث، تضع بلادنا في سباق لا يَرْحم، الحَكَم فيه هو الاكتشافات والاختراعات المذهلة في مجالات الهندسة الجينية والمعلوماتية والذكاء الاصطناعي .

نقدّم في هذه الورقة المخصّصة لعشريّة المجلس عددا من القضايا المتصلة باللّسان وثقافة المجتمع وتاريخيّة اقتحام الفرنسيّة للساحة الوطنيّة والأهمية العلميّة والسّياسيّة للعناية بالأمازيغيّة وأسباب ومضاعفات انشطار النخبة الجزائريّة والصّراع الدّائر حول الإسلام عقيدة ومعاملات والموروث الثقافي المشترك (حتى تأسيس الدولة الوطنيّة) والقطري في علاقاته بالمعطى السابق وبمطلب الحداثة والتحديث أو العصرنة والجدل المتواصل فيما هو تعريب وما هو تغريب .

ثانيا : الظاهرة اللّسانية في المجتمع والثقافة

نبدأ هذه الدراسة بمتابعة المسألة اللغوية باعتبارها ظاهرة اجتماعية(1) فلا وجود لمجتمع بشري بدون لغة منطوقة فقط أو منطوقة ومكتوبة، ومن البديهي أنه لا وجود للغة بدون مجتمع يستعملها للتعبير عن ثقافته، فاللّغة وضع وسماع واستعمال وقد لاحظ هردر (**J.Herder**) (1993) أكبر فلاسفة ألمانيا في منتصف القرن **18** أن تعدّد الثقافات يرجع في الحقيقة إلى تعدّد اللغات .

---

(1) الإحالات بتاريخ النشر في نهاية الدراسة .

كما اجتهد «إدوارد سابير» (**E.Sapir**) في وضع نظرية عن العلاقة بين اللغة والثقافة من مدخل علم الإناسة وهو من مؤسّسية الأوائل، وقد أشرنا في دراسة عن المسألة الثقافية إلى مساهماته الهامة عند مناقشة الحقول المعرفية لمفهوم الثقافة (2007)، تقوم فكرة «سابير» على فرضية، عُرفت باسم «سابير –وُوْرف» (**Sapir-Whorf**) ومؤداها أن اللغة ظاهرة ثقافية بل إن الثقافة نفسها هي في النهاية لغة، وهو يعرف اللغة بأنها نظام للاتصال ووسيلة لتنظيم وتصنيف التجربة الحسّية، وقد خفّف الباحث من التعميم السابق وعبّر عنه بوجود ارتباط مباشر بين النموذج الثقافي والبنية اللغوية، وأبرز في بحث بعنوان «اللغة» (القاسمي 1993) أهمية التأثير الذي تمارسه اللغة على نظام التمثُّلات لأي شعب؟، فاللغة موصل للثقافة، وتتأثّر بدورها بالثقافة، وبالتالي فإن هناك تداخلا بين بنية اللغة وتراكيبها وبين نمط الثقافة، ومن الواضح أن نظرية «سابير» تُبطل مقولة أن اللغة هي مجرد أداة حياديّة أشبه بأنبوب يعبر من خلاله أيّ مضمون نريد توصيله إلى الآخر، وهي المغالطة التي يروج لها البعض عندنا لإبعاد اللغة عن جوهر الوطنية والخصوصية الثقافية.

وقد توصّل «ك.ليفي شتراوس» في دراسة عن الأنثروبولوجيا البنيويّة **Anthropologie structurale**) نشرها سنة **1958** إلى جملة من النتائج من أهمها:

- إن هناك علاقة وطيدة ومعقّدة جدا بين اللغة والثقافة.
- يمكن النظر للّغة باعتبارها منتوجا ثقافيا.
- إن اللّغة هي الشرط الأول لنشأة الثقافة.
- تتوقف التنشئة والتطبيع، أي نقل الموروث الثقافي، على اللغة فلا يمكن أن يكتسب الشخص آليات السلوك والتوافق إذا كان في جماعة لا تتخاطب بلغة مثل حالة الصمّ–البُكْم العاجزين عن ترميز الجمل والمفردات وتحويلها إلى إشارات.
- لكل ثقافة بنية مُماثلة تماما للّغة، ويتبيّن من هذه النتيجة التي استخلصها «شتراوس» المصاعب التي يعانيها المترجمون الذين ينقلون أدبيات الإبداع نثرا وشعرا من لغة إلى أخرى، مهما كان تمكّنهم من اللغة التي ينقلون منها وينقلون إليها.

ليس من اهتمامنا في هذا المبحث الخوض في الأطروحات الواسعة والمتراكمة في علم اللسانيات وفقه اللغة والصوتيات القديمة والمعاصرة وأدبياتها عند العرب ومن سبقهم وجاء بعدهم، إن الذي يهمنا في هذا السياق هو العلاقات بين اللغة واللسان من جهة والمجتمع من جهة أخرى، وبتعبير أوضح مدى تأثير الواقع الاجتماعي على الواقع اللساني والعكس.

أخذ هذا المجال من البحث عدة مسميات نذكر منها: اللسانيات الاجتماعية (Sociolinguistique) – اللسانيات السوسيولوجية (Sociologie linguistique) – والأنثروبولوجيا

اللسانيــة (Anthropolinguistique) – الاثنولوجيــا اللسانيــة (Ethnolinguistique) الجغرافيــا اللسانيـــة (Linguistique géographique) أو الانتشـــار المكاني للألسُـــن – علــم اللهجات (Dialectologie) إلخ . . .

هل أن تلك التسميات عبارة عن عناوين لمجالات مختلفة من البحث في الظاهرة اللغوية في علاقتها بالظاهرة الإجتماعية؟ أم هي مداخل متنوعة لنفس المجال تسخر مناهج ونظريات العلوم المجاورة؟ يرى بعض نقاد هذه المباحث أن اختلاف التسميات يرجع في حقيقة الأمر إلى اختلاف المدارس، وأهمها ثلاثة أولاها المدرسة الألمانية ومن أشهر علمائها «ولهيلم فون هامبولت» (W.Von.Humbolt) في منتصف القرن 19، من أشهر مقولاته أن بنية أية لغة تتضمن حتما تحليلا ومنظورا لمجمل العالم الخارجي، وقد طور اللساني الأمريكي «ب.لي. وورف» (B.Lee.Whorf) هذه الفكرة وارتأى أن الحدود الحقيقية بين الأمم وبين الحضارات هي حدود لغوية وليست جيوسياسية ولا عرقية، إن اللغة في رأيه هي التي تقود الحضارة.

أما المدرسة الثانية فهي أنغلو–أمريكية، وهي من أكثر المدارس عناية بالمدخل السوسيولوجي والأنثروبولوجي لعلم اللسانيات على اعتبار أن اللغة ظاهرة اجتماعية أو على حد تعبير «لوبوف» **1962** (**W.Labov**) في قراءاته عن سوسيولوجيا اللغة (**Bock in reading on the sociology of langage**) هي دراسة فعل ظواهر المجتمع في اللسان وتأثير العوامل الاجتماعية في تشكلات اللغة أي العلاقة العلّية بين اللغة مفردات ونحوا وصرفا وسياقا وبين الجماعة والمجتمع الكلي، وقد كان لمدرسة «فرانز بويز» (**F.Boas**) تأثير كبير على مباحث الانثروبولوجيا اللسانية في الولايات المتحدة، بسبب اهتمام «بويز» وتلاميذه بإتقان لغات الجماعات البدائية باعتبارها مدخلا لا مناص منه لفهم أنماط الثقافة أو منوالاتها (**Patterns**) المتميزة والتعدد اللساني في مجتمع واحد (**Multilinguisme**) وما يسميه «ج.فيشمان» (**J.Fishman**) الوطنية اللسانية أي شدّة تعلق الجماعات المهاجرة إلى الولايات المتحدة بلغاتها الأصلية (الإيطاليون المكسيكيون اليابانيون الصينيون إلخ....).

كما ساهمت دراسات علم النفس الاجتماعي المتقدمة جدا في الولايات المتحدة (Cuche 1996) في تطوير مناهج البحث في اللسانيات الاجتماعية، عن طريق تطبيق استبيانات ومسوح ميدانية واسعة النطاق مثل تلك التي أجراها «لوبوف» (**1966W.Lobov**) في مدينة نيويورك وديتُرُويْت ونُورْويتْش متبوعة أحيانا باستجوابات من تصميم علماء الاجتماع مثل تلك التي أجريت على عيّنات كبيرة من أحياء الجانب الشرقي من نيويورك للتحقق من فرضيّة العلاقة بين اللهجة والمتغيرات الصوتيّة والشرائح الاجتماعيّة في الطبقة الاجتماعية نفسها وبين الطبقات.

وقد وقع الاختيار في اللغة الانكليزية الأمريكية على حرفي «الراء» (R) و«الذال» (**The**)، وقد افتتح «لوبوف» بهذا التحقيق الواسع مجالا ثريا للبحث لتطبيق مناهج علم الإناسة (الأنثروبولوجيا) في لَهَجيّة المدينة وعلى الرغم من أن السلوك اللغوي في وضعية الاختبار لا يكون طبق الأصل أي تلقائيا **100 / 100**، وتكييمه (**Quantification**) بالمعادلات الإحصائية لا يعطي صورة مطابقة للكلام العفوي بين الناس فإن استخدام مناهج علم النفس الاجتماعي وفرعها المعروف بعلم النفس اللغوي قد طورت المباحث التقليدية التي تركها د «بياجية» (**Piaget**) وتلاميذه.

أسفرت المنهجيات الجديدة عن نتيجة هامة مؤداها: أن وظيفة اللغات لا تقتصر على الاتصال فقط، بل لها علاقة قابلة للتحقيق بالملاحظة والتجريب، هي التمييز بين الطبقات وإظهار ما بينها من صراعات وفروق في نمط الحياة، وقد قدّم «ب.برنشتاين» (**B.Bernestein**) الأخصائي في علم النفس الاجتماعي نظرية سماها النظام الاجتماعي اللساني للطبقة العليا (**Upper class**) يقابله نظام آخر للطبقة الدنيا (**Lower class**)، وفي رأيه فإن الانتماء لإحدى الطبقتين يحدد الفروق المعرفية وقدرات الإدراك وأشكال التفكير والتعبير.

هناك مدرسة فرنسية تمتدّ جذورها إلى الدوركايمية ومقارباتها الوضعية وإلى البنيوية السسيولوجية، فقد اهتم «أ.ميي» (**A.Meillet**)بالتنقيب عن الأسباب الاجتماعية الكامنة وراء الوقائع اللسانية وذهب إلى أن المتغير الوحيد الذي يسمح بفهم التحولات اللسانية هو التغيّر الاجتماعي، بل إن تلك التحولات اللسانية ليست أكثر من واحدة من نتائجها.

وقد ساهم «أ.ميي» مع «جول موجان» (**J.Mougin**) في إجراء التحقيقات الأولى عن «نطق الفرنسيّة المعاصرة» وقاموس «نطق الفرنسية في استعمالها اليومي» **1941** بهدف استعمال اللّغة في وضعية مجتمعية عادية، أي خارج المخبر والتجريد النظري الذي يطمح إليه علم اللسانيات، سبقت تلك التحقيقات دراسة ميدانية قام بها «أ.غوشات»(A.Gauchat) وقد توصل إلى نتائج لم تتضمنّها أي من فرضياته، من أهمها، أنه لا وجود لوحدة صوتية داخلية للعاميّة على مستوى المجتمع المحلّي وأن التباينات تتوزّع على الأفراد حسب السّن والجنس (ذكور–إناث)، وأن القيام بالتحقيق مرّة ثانية يؤدّي إلى نتائج مختلفة، وقد خصّص عالم الاجتماع المعاصر ب.بورديو (P.Bourdieu) 1980 دراسة تحت عنوان: الحس العملي (Le sens Pratique) أكّد فيها أهميّة العلاقة والسياق المجتمعي.

من بين النتائج النظرية لهذه التحقيقات الميدانية أن التباينات اللسانية داخل لغة واحدة لا ترجع كلها للأفراد وخصائصهم المورفولوجية والصوتية، بل إنها أيضا من فعل المؤسسة الاجتماعية التي ينتمي إليها الفرد، وهي النتيجة التي توصّل إليها في نفس الفترة تقريبا «فرديناند دوسوسير» (F.De Saussure) انطلاقا من أن اللغة في كل مستوياتها هي مؤسسة

اجتماعية قسم منها يتصف بالوحدة هو اللسان (Langue) وقسم منها متغير نسبيا هو الكلام (Parole)الذي يخضع للمتغيرات التي أشرنا إليها سابقا، وقد اعتمد واحد من أعمق الباحثين في فقه اللغة وهو « ن.تشومسكي » 1965((N.Chomsky) على ذلك التمييز لوضع نظريته في علم النحو ونظرية البنيات التركيبية في اللغة (Syntatic structures) وارتأى أن اللسان هو في النهاية مجموعة من الوقائع تجري بين متحدث وسامع، أي أن التراكيب هي نتيجة وضعيّة علائقيّة (Relationnelle) .

ثالثا : كيف تمّ تلقين الفرنسية في مدرسة الفصل العنصري التحقيرية ؟

في الوضعية العلائقية غير المتكافئة، بل القهرية نلاحظ أن استخدام اللغة الفرنسية لدى بعض قادة ومناضلي الحركة الوطنية والثورة بما في ذلك تحرير أهم النصوص (بيان أول نوفمبر 1954 والصومام 1956) يرجع إلى عدّة عوامل من بينها :

أ– أن الحركة الوطنية كان لها قاعدة رئيسية في فرنسا بسبب القمع والتضييق في الجزائر.

ب– أن قادتها كان أغلبهم من المدن التي توفرت على قلة من المتعلمين بالعربية ومن المعروف أن أغلب المدن وخاصة في الشمال والهضاب العليا كانت تحت الهيمنة الثقافية الفرنسية ولازال عمرانها يشهد على ذلك (كنائس – أسواق – ساحات الرقص. . .) ولا ننسى كذلك أن عددا من العائلات الميسورة أرسلت أبناءها للتعليم في فرنسا ويمكن التعرف على الأصول العائلية من تشكيلة اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين (UGEMA) (Gu Perville: 1984) .

ج– استجابة جناح من السياسيين إلى خدعة الاندماج ومن علاماته الأولى استعمال لغة المحتل التي أوصلت بعض قادة ذلك الجناح إلى إنكار وجود شعب أو أمّة (!) قبل أن يراجعوا موقفهم وينظموا إلى الثورة سنة 1956، وقد يكون الدافع تعجيز الإدارة الفرنسية التي تلوح بالحقوق بعد الاندماج، وقد ثبت أن ذلك كان مجرد أكذوبة مثل أسطورة مروحة الداي حسين.

د– إن الريف الجزائري كان ضحية الأمية والقلة زاولوا تعليما بالعربية في مدارس جمعية العلماء وتنظيمات حزب الشعب، ومن المهم أن تجرى دراسات استقصائية بعيدا عن الجدليات الإيديولوجية للإجابة على السؤال التالي كيف؟ ولماذا استعمل الوطنيون الجزائريون اللغة الفرنسية للدفاع عن القضية الوطنية؟ وهل أن مرافعاتهم بها في الجمعية الوطنية الفرنسية عن حق الشعب الجزائري في المساواة والحرية قد أوصل إلى أية نتيجة؟

1– للإجابة عن السؤال الأول كيف تمّ تلقين الفرنسيّة؟ لنتسائل عن فضائل المدرسة الكولونيالية في الجزائر؟

مدرسة يحن البعض من أجيال ما قبل التحرير وحتى بعده إلى عصريتها وتفوقها ومحصولها المعرفي والتنظيمي، لنرى حقيقتها من الداخل كما يعرضها السيد علي براهيمي 2008.

طبقت المدرسة الكولونيالية في الجزائر قانون الأنديجينا نصا وروحا، ولم تكن شعارات الحرية والإخاء والمساواة سوى خدعة وتضليلا مقيتا للممارسة الفعلية للميز العنصري والإذلال يحكم مسبقا على النتائج المدرسية وعلى مستقبل التلاميذ، وذلك على الرغم من وجود قلة من المعلمين من ذوي النوايا الحسنة الذين لم يكن لهم أي تأثير.

نادرا ما يتجاوز الأطفال من الأهالي المرحلة الابتدائية ساعد على ذلك الإيحاء المستمر بأنهم على درجة كبيرة من العجز والبلادة، إذ يجبر التلميذ صباحا ومساء على تكرار جملة واحدة هي « يذهب عمر إلى المدرسة » وكأنه يتوجه إلى القمر (!) أو أن يكتب أكثر من مائة مرة كعقاب جملة أخرى « أنا حمار » بالإضافة إلى جمل تحقيرية أخرى.

على الرغم من أن هذه المدرسة التحقيرية كونت بعض المحامين والأطباء والقضاة والعسكريين من أبناء القياد (famille caidale) وحراس حقول الكولون ومن الواضح أن الهدف الحقيقي كان تدريب الجميع على الطاعة العمياء.

أنتجت هذه المدرسة على وجه الخصوص العديد من « المتخلفين » الذين تقرر مصيرهم رغما عنهم وكانوا موجهين في الحقيقة لتشكيل جماعات موجهة للعمل في الحقول الزراعية في بعض مناطق البلاد– ولتدعيم ساحات معارك فرنسا في الحربين العالميتين كأجساد تقدم قربانا للمدافع، وقد عاد الباقون منهم على قيد الحياة للدفاع عن قضيتهم الحقيفية أثناء حرب التحرير.

وبعد عدّة تعديلات في برامج المدرسة المسماة بالأهليّة وخاصّة في إطار مخطط قسنطينة للجنرال ديغول (1958–1962)، فقد وجدت الدولة الجزائرية الوليدة نفسها أمام دايلاما شديدة التعقيد فقد أحدثت تلك المدرسة تشوهات غرسها مخطط المدرسة الأهليّة في أذهان وسلوكات أطفال أبرياء مازالت مضاعفاتها إلى اليوم لدى العديد من الإطارات والموظفين وفي جميع القطاعات.

تمثلت نتائج تلك العملية في رؤيتين مختلفتين للغة والثقافة تتصارعان منذ عدة عقود: تعتبر الأولى اللغة الفرنسية مكسبا من مكاسب الاحتلال – مثل الأديب الراحل « كاتب ياسين » – بينما تتمسك الرؤية الثانية باللغة العربيّة التي سادت على أرض الجزائر منذ أكثر من 12 قرنا والتي كانت تشكل أحد دعائم الشخصية الجزائرية التي طالبت بها ثورة الأول من نوفمبر 1954 .

والحقيقة أن الثورة هي في جوهرها تحرير من كل آثار النظام الكولونيالي حتى ولو كان ذلك مؤلما، وخاصة الثقافية منها، تلك كانت الغاية التي استمدت مشروعيتها من التجربة الإنسانية المكتسبة خلال حرب التحرير، وتلك التي من المفترض استعادتها من تراثنا الحيّ لإقامة جمهورية متفتحة على عصرها منطلقة من قيم نقية من الآثار السلبية للعهد الكولونيالي البائد، ومن الشعوذة التي مارستها بعض الزوايا بمساندة من الإدارة الفرنسية.

لقد كانت اللغة العربية مرجعية أساسية في الهوية الوطنية، لا علاقة لها بالتعصب والعرقيـة، فقد كان المستوطنـون يسمون كل الجزائريين «العرب» أو «جنس البرنوس» (La race du Burnous)، وينادونهم باسم محمد وفاطمة بشيء من السخرية وبكثير من التحقير، وقد جعل «جاك بيرك» هذه المعاملة من أسباب الكراهية المتبادلة بين المستوطنين الفرنسيين والأهالي الجزائريين.

3– ظهرت معطيات أخرى مغايرة خلال العقود التي أعقبت الاستقلال، وإعادة تأسيس الجمهورية وبناء الدولة الوطنية، ولم يعد الإعلام والاتصال والثقافة نضالا للخلاص من كابوس الكولونيالية، فقد أصبحت الأولويات تنحصر في إصلاح الخراب والتدمير الذي خلفه الاحتلال وجيوشه، وتدارك التخلف المتراكم بكل الوسائل والكفاءات الوطنية المتوفّرة، ولذلك طغت على الإعلام ثنائية لغوية عكست الانشطار المبكر للنخبة الجزائرية الذي ظهرت بوادره منذ فجر الحركة الوطنية، مهدت لصراعات بين ما يسمى معرّبا ومفرنسا ومن المعروف أن مصطلح معرب Arabisant اقتصر قبل الاستقلال على الفرنسيين المتخصصين في الدراسات العربية مثل علماء الاستشراق والمترجمين، وقد تحاشينا في مجمل كتاباتنا هذه التصنيفات الملغمة واقترحنا بدلها كاتب بالعربية Arabographe وكاتب بالفرنسية Francographe .

رابعا : الصراع المفتعل بين العربيّة والأمازيغيّة صفقة رابحة للغة ثالثة غازية

تعمل بعض التيارات على اصطناع الصراع بين العربيّة والأمازيغية أحيانا لأهداف سياسية، ساعدها خلال العقدين الأخيرين من القرن الماضي غفلة طال أمدها للتكفل باللسان والتراث الأمازيغي، وأخطاء في الطرح، مما سمح لخبراء سياسات فرّق تسد من احتضان ما سموه لغات الأقليات (Les langues minorisées) .

أقامت تلك الأوساط معاهد وأكاديميّة ونجحت في استقطاب الباحثين الجزائريين وقطاع من الشباب الأبرياء وآخرين من الاحتجاجيين وإقناعهم بأن ترقية العربيّة وتعميم استعمالها خطر على الأمازيغية أو جسر لما يسمونه الإسلاموية (L'islamisme) والظلاميّة المتخلّفة والإرهاب الدموي وبدأت حملة للتنفير من العربيّة وإبعادها حتى من علامات الطريق وواجهات المحلات (Désarabisation) (صادق هجرس) 1998 وحملة أخرى موازية للانسلاخ من الإسلام أي التنصير، على ما فيها من تهويل تساعد فيه بعض الصحف بإظهار اضطهاد «المرتدين» وكأنه غيرة على الإسلام وبطولة وفي ذلك التهويل غفلة وانفعالية استفادت منها المنظمات التي تدافع عن حريّة العقيدة في البلاد الإسلامية ولا تقول شيئا عما يحدث في أروبا والولايات المتحدة التي تبرأ فيها المرشح للرئاسيات (أوباما) من الانتساب إلى اسم أبيه وجدّته المسلمة،

وتحتفي فرنسا اللائكية بأعيادها الدينية أكثر من أيامها الوطنيّة وتحمل أغلب أيام السنة أسماء القديسين وتبدأ الاجتماعات الرسميّة في البيت الأبيض الأمريكي بالقدّاس وتحمل اللافتات مع العلم الأمريكي شعار اللهم أحفظ أمريكا (God bless America)، وبلد الاله (God's country) (إدوارد سعيد 2002).

لقد كانت الغفلة والاستقطاب صفقة مربحة للفرنسية المرشحة لأن تكون اللغة الجامعة بين مجموعتين في وطن واحد لا يتفاهمان إلا بالفرنسيّة كما حدث في أمريكا اللاتينية (الإسبانية) وكل غرب إفريقيا (الفرنسية) وجنوبها (الانكليزية).

نجد بين النخبة الجزائرية من هم على وعي بمخاطر الصراع المفتعل بين اللغتين الشقيقتين على الوحدة الوطنيّة وتجانس المجتمع، فإذا كانت العربيّة ثقافة وحضارة لا يحتكرها أحد وليست عرقا أو سلالة فإن الأمازيغيّة هي أيضا لسان وتراث ملك لكلّ الجزائريين في حاجة إلى عناية الدولة بحمايتها وتطويرها وعصرنتها.

وفي هذا السياق يعرض الأستاذ سعيد شورار (2008) تشخيصا نقديا للمقاربات الراهنة التي أضرّت في رأيه بالمسألة الأمازيغية وبالوطن يقول:

. . . كثير من التصرفات الهدامة تأتينا من التأصلية (Atavisme) الأمازيغية التي تقودنا إلى الأنانية العالمية في حين أننا يجب أن نتحلى بالتواضع في كل شيء. وليحكم القارئ! عزيزي القارئ القبائلي، قل لي كم من مرّة سمعت هذه الادعاءات الحمقاء: «القبائليون هم من حرروا الوطن»، «القبائلي هو الأكثر ذكاء»، «القبائلي هو من يسير وزاراتنا»، «الذكاء القبائلي صنع حاسي مسعود»، «القبائلي هو الوحيد الذي بقي متمردا على الدولة». وماذا لم تسمعه بعد، عزيزي القارئ؟»

. . . بوتفليقة تمكن من التعامل بحكمة مع طرفي هذه المشكلة الإسلام والأمازيغية وأرجعهما إلى الشعب الجزائري بأكمله بفضل بعد نظره، بينما فشل من سبقوه في ذلك حيث كانت هذه المسألة من أسباب عدم الاستقرار. وبما أن الأمازيغية أصبحت الآن لغة وطنية، يتعين على علماء هذه اللغة أن يتقربوا من مؤسسات الدولة (رئاسة الجمهورية؟ وزارة التربية؟) للعمل على ترقيتها بعيدا عن توظيفها لأغراض سياسية. لا يصنع المصير القبائلي خارج الوحدة الوطنية أو بمعارضته للإسلام أو اللغة العربية».

«لقد عزم فخامة الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، على تعويض المحافظة السامية للأمازيغية بأكاديمية للغة الأمازيغية وسيكون الفضل لسيادته إذا ما قدم لكل العلماء الجزائريين المتخصصين في هذه اللغة أداة تقضي على هذا الترقيع الذي يقوم به اللسانيون الوهميون الذين يقرعون الطبول في جامعاتنا. سينكشف زارعو الحقد الذين يريدون استغلالها كذريعة لرفض الآخر وفرض أنفسهم.»

الدولة الجزائرية وحدها كفيلة بالرد مباشرة على محاولات هؤلاء المغامرين في كل واد، بحماية قيمنا المشتركة: العربية والإسلام والأمازيغية عبر إنشاء أدوات لترقيتها. إن من يريد استغلال هذه القيم ينتظر دوما أدنى شرارة للتعبير بعنف. ولأن الدولة غالبا ما تتنكر لتعهداتها، فنحن نخشى على وحدتنا الوطنية. ومدعيي الورع في الإسلام، شأنهم شأن العربية والأمازيغية لا ينتظرون إلا الخطوة الخاطئة لتعريض مصير شعب برمته للخطر (مقتطف من النص).

إنّ اللغة الفرنسيّة أداة مفيدة، مثل أيّة لغة أخرى ناقلة للفكر والإبداع والتكنولوجيا، إذا خدمت أهدافنا الوطنيّة في توطين العلم والتكنولوجيا، والاتصال بالعالم الخارجي، ولم نقبل نحن بخدمتها إعلاميا وثقافيا بلا مقابل، وهو ما يحدث اليوم.

إذا تعلق الأمر بالعربية والأمازيغية ولهجاتهما المتداولة فقد يكون من المفيد تقديم لمحة عن وضع اللغات واللهجات في ما يسمى الاكساغون، فلا مفر من الحديث عن النموذج الأوحد في نظر البعض، ولذلك نقتبس صورة عن الوضعية اللسانية هناك من تقرير المعهد الوطني للدراسات الديموغرافية الفرنسي (INED) لسنة 2002، وجاء في ذلك التقرير أن لغة الدوك (Langue d'oc) ولهجاته مثل الأوكستان والبروفانسال والليموسان، وهي لغة ولهجات مستعملة في مرحلة الطفولة لـ 610.000 أسرة بصفة دائمة و 1.06000 بصفة ثانوية، وبالنسبة لمنطقة الألزاس فبعد نصف قرن من إدماجها في ألمانيا، فإن ٪75 من سكانها يتحدثون الألزاسية، بينما يتمسك أهل الكورس بلغتهم التي لا تعترف بها الدولة الفرنسية كلغة رسمية وأما البروطونية فهي تقاوم الاضمحلال ويكاد يقتصر استعمالها على الفولكلور الشعبي، وقد رفض مجلس الوزراء والبرلمان بكل أحزابه في شهر جويلية الماضي 2008 اعتماد لغات محلية غير الفرنسية، وقد عبر الأديب البروطويي ب.ج هيلياس في كتابه حصان الكبرياء P–J Helias: le cheval d'orgueil (1975) عمّا علق بذاكرته من مرارة عندما كان يرى في طفولته على باب المدرسة: « ممنوع البصاق والحديث بالبروطونية.

يؤكد التقرير في خلاصته أن فرنسا بلد أحادي اللغة (monolangue) ونبه إلى خطر زحف الانكليزية التي يستخدمها 2.700.000 من الفرنسيين في العمل وحتى داخل الأسرة.

ويرجع توحيد اللسان في فرنسا إلى عاملين أولهما جهود علماء وأدباء عصر الأنوار وخاصة جهود دنيس ديدرو (D.Diderot) في وضع الموسوعة الفرنسية الأولى للغة والمعارف والآداب التي أشرف عليها لسنوات عديدة مع نخبة من الأكاديميين أخرجت الفرنسية من اللغة المحكية والتراث الشفوي (Oralité) إلى لغة العلم والثقافة أما العامل الثاني فهو إجرائي وقام به وزير التعليم جول فيري (J. Ferry) الذي فرض توحيد لغة المدرسة وهي الفرنسية المعيارية (أصبحت هي لغة باريس) واعتبارها المؤهل الأول للنجاح في مختلف مراحل منظومة التربية والتكوين.

خامسا : للحداثة بداية ولها مسار بلا نهاية

يكشف توالي المساجلات التي تطالعنا بها الصحافة دوريا عن نماذج حول الإسلام واللغة ومنتوجها الثقافي مقارنة بما ينشر بلغات أخرى (الفرنسية مغاربيا والانكليزية مشرقيا) التي تظهر في كثير من الخطابات الثقافية والسياسية في بلادنا وفي المنطقة التي أشرنا إلى جانب منها فيما سبق، تكشف عن انشطار قديم العهد بين فصائل النخبة حول مطلب الحداثة أي كيف تصل مجتمعاتنا إلى المرحلة التي وصلها الغرب كما هو عليه اليوم؟

هناك اجتهادات كثيرة للإجابة على السؤال السابق سبقت الصدمة الحضارية (الغزو الكولونيالي) ولا زالت تقدم الفرضيات وتقوم بجرد عوامل التقهقر والجمود والتخلف وتقترح البدائل والحلول، وقد أشرنا إلى جانب منها في دراسة سابقة (م.ع.ولد خليفة)، ونميز هنا مع الأستاذ علي الكنز 2008 بين التحديث وهو التأسيس المادي للحداثة كما تبدو في الهياكل القاعدية ومنتجات التكنولوجيا والاكتساب التدريجي للقدرة على استعمالها.

أما الحداثة فتعني المنتوج المعرفي والتكنولوجي الذي ينتج الحداثة وتنتج عنه الحداثة نفسها، وتعرف بلدان المنطقة الغنية والأقل ثروة، أن استيراد مصنع جاهز أو طائرة أو مرصد فلكي أو حاسوب لا تعني امتلاك التقانة والخبرة التي صممتها في البداية وطورتها فيما بعد، ولا حتى إصلاح ما يطرأ من خلل على مكوّناتها الدقيقة.

ولذلك تطرح في كل البلاد العربية مسألة التأهيل التقني والتكوين وإعادة التكوين المستمر (Recyclage) في الخارج والسنة السباعية (Année sabatique) للجامعيين والخبراء، فالتقدم حداثة وكلاهما يكون كليا أو لا يكون، أي يشمل الفرد والجماعة والعلاقة بالمادة والنظر للحياة وما بعد الحياة.

يقدم التوضيح السابق أحد عوامل الانقسام التي تحدد المسافة الفاصلة بين فصيلين من النخبة سواء أكانت في مواقع حزبية أم إعلامية أم في تنظيمات المجتمع المدني، يتخذ الصراع من قضية اللغة والإسلام أداة للصراع المشبع بأحكام القيمة، ويصل إلى حد اللعان وشيطنة الأخر لإبعاده عن مواقع التأثير السياسي والاجتماعي.

يوصف الفصيل الأول بالتقليدي وهو يعتبر نفسه أصالي، يتمسك بالهوية الحضارية العربية الإسلامية للمجتمع ويدعو الدولة للتمسك بها وحمايتها ويدافع عن اللغة العربية ويذكّر بماضيها المجيد ويحتج على حاضرها ويعقد المقارنات مع واقع اللغة في بلدان أخرى (فيتنام–اسرائيل).

هناك أيضا ضمن هذا الفصيل ما يسمى بالسلفيين –(وهو لا يتفق مع الاتجاه السابق في كل توجهاته الفكرية والسياسية) – وفيه من يرى بأن حاضر الأمة لا يصلح إلاّ بما صلح به أولها،

ولا بد لمرحلة الازدهار والتفوق العربي الإسلامي أن تعيد نفسها إن عاجلا أو آجلا، وتسترجع الأمّة العربية والإسلاميّة سيرتها الأولى.

لا يقتصر هذا الفصيل على الأصاليين والسلفيين، فهو يتفرع إلى كثير من المذاهب والتيارات التي لها حضور متفاوت على الساحة العربية والإسلامية ويتزايد الاهتمام بها في الغرب، وخاصة بعد حادث البرجين في 11 سبتمبر2001، ليس لأهداف علميّة فحسب، بل لغرض اختراقها من طرف الأجهزة المختصّة لحماية بلدانها من خطر الإرهاب الذي أصبح عابرا للحدود ومبررا لما يسمى الحروب الوقائية باعتبار الزحف الأخضر هو الخطر البديل عن الزحف الأحمر الذي مثل في نظر الغرب التهديد الأقوى حتى بداية التسعينيات من القرن الماضي وبرّر الكثير من الانقلابات والحروب التي دارت على ساحة العالم الثالث الواسعة.

أما الفصيل الثاني فيمثله من يسمون أنفسهم الحداثيين الذين يطالبون بالانتفاض على الأوضاع القائمة في الدولة والمجتمع، ونقل الحداثة أو الانتقال إليها، كما هي في صورتها الأروبية –(عندنا النموذج الفرنسي بسبب تأثيره المباشر وما خلفه من تناقض وجداني « Ambivalence » أي جاذبية ونفور)– وصورتها الأمريكية المعولمة.

وترى أغلب التيارات الحداثية أن اللغة مجرّد أداة للتواصل واكتساب المعرفة، والفرنسية بالذات مكسب ينبغي المحافظة عليه وتنمية تحصيله وإتقانه، مهما كانت الظروف التاريخية التي أحاطت به في حقبة الاحتلال، وهو ما عبّر عنه كاتب ياسين بجملته المأثورة: الفرنسية غنيمة حرب، وما سعى إليه بعض أقطاب النخبة في مواقع المسؤولية مثل المرحوم مصطفى الأشرف ورضا مالك ووصلت لدى سياسين من جيل ما بعد الاستقلال مثل سعيد سعدي إلى الغضب على المجتمع كله، والتأسف على الخطأ في فهمه على حقيقته.

ويجد كلا الفصيلين منابر في أركان الرأي في الصحافة المنشورة بالعربية وتلك المنشورة بالفرنسية، حيث يلصق كل فريق بالأخر تصنيفات إديولوجية وينسبه إلى الملّة والنحلة الممثلة للوطنية أو المعادية لها.

وليس في النيّة الخوض في الآراء والمواقف التي تتضمّنها مؤلفات السيرة الذاتية لقيادات ومسؤولين عن حقبة ما قبل 1962 وما بعدها، وخاصة حول ما حدث في 5 أكتوبر 1988، فذلك يحتاج إلى أنطولوجيا تتجاوز المناظرات الشخصيّة بين الأحياء، وتتطلّب توثيقا يطمئن إلى العقل والقلب لأفعال ومسؤوليات من توفوا إلى رحمة الله، فقد يكون ذلك التجاوز مقدمة للاهتمام بفلسفة التاريخ، وهي المنجم الذي لا ينضب لتأصيل الثقافة والتجاوز المستمر لراهنها الانشطاري.

يسمح لنا التنويه السابق بالإشارة إلى أن اللغة وحدها ليست الحاجز أو جدار برلين الوحيد الفاصل بين الفصيلين المتقابلين وما يدور في فلكهما من تيارات، فقد يحدث الاشتباك بين

باحثين وكتاب بنفس اللغة (عربية أو فرنسيّة) بسبب الموقف السياسي والتجربة السابقة والتموقع الإيديولوجي من نظام الحكم في الجزائر.

هناك أمثلة كثيرة على تلك الاشتباكات المتكرّرة في مصنفات ومقالات تنشرها الصحافة في بلادنا، نذكر منها كعيّنة قريبة العهد وليس للجرد أو الحصر:

– مقال الروائي الكبير الطاهر وطار بعنوان: براغيث الصحافة وصئبان الثقافة (صوت الأحرار– 28 / 09 / 2008).

– دراسة مطوّلة للأستاذ الهواري عدي بعنوان: Misère de l'intellectualisme (يومية وهران 11–12–13–14 سبتمبر 2008).

– مقال للدكتور أ.سعد الله: أتيناك طائعين (الشروق اليومي بتاريخ 23 / 09 / 2008).

– مقال للأستاذ عبد العالي رزاقي بعنوان: الاستبداد اللغوي (في نفس الصحيفة السابقة بتاريخ 09 / 10 / 2008).

– عدّة مقالات للأستاذ عثمان سعدي من آخرها: اللوبي الفرانكوفوني يشنّ حملة على اللغة العربية وعلى ابن باديس.

– وردّ من السيد يزيد هدار بعنوان: العربوفيليا أو العروبية (Arabophilie ou arabisme) يومية وهران بتاريخ 09 / 10 / 2008.

ومن المؤسف حقا أن اتحاد الكتاب الجزائريين الذي ولد في أحضان جبهة التحرير، ولم يؤدّ بعد فطامه القسري رسالته المتمثلة في بناء جسور اللقاء والتفاهم بين المبدعين باللغتين على أساس أن الأصل والمطلوب هو الإبداع والنشر بالعربية، والاستثناء يكون بالفرنسية أو غيرها من اللغات، وليس في هذا الطرح شوفينية أو انغلاق، فهو الوضع الطبيعي لاستحقاق النبوغ والعالمية، كما بينا ذلك في جزء سابق من هذه المقاربة.

وفي هذا السياق لا ينبغي التسرّع في الحكم على قيمة الفكر والإبداع الأدبي المنشور بالفرنسية وغالبا وراء البحر لمفكرين وكتاب مثل محمد أركون وآسيا جبار (عضو الأكاديميّة الفرنسّة) ومولسهول (ياسمينة خضرة) وآخرين، ولكن يمكن التساؤل عن مدى تأثير أفكارهم وإبداعهم في الوسط الفكري والتثاقفي في وطنهم الأصلي؟

قد يكون الجواب في دراسات نقدية للأفكار والمضامين الأدبيّة بمنأى عن إعادة شرح المسلمات المتعلّقة بتعريف الوطنيّة الجزائريّة، غير أن هناك فرضيّة لا مفر من طرحها من خلال السؤالين التاليين:

1– ماهي قيمة الأبحاث والإبداع المنشور في فرنسا وبالفرنسيّة على الساحة الثقافيّة في فرنسا نفسها، أي ما هو موقعه في خريطة النخب الفرنسيّة المنتجة للأدبيات الفكريّة والأدبيّة هناك.

2– ماهي القيمة المضافة (ثقافيا واجتماعيا) للأدب المنشور بالفرنسيّة على مسار التأصيل والتغيير والتجديد في الجزائر، أم هو فقط جزء من المنتوج الإبداعي الذي يصنف ضمن المجال الفرانكوفوني مثل أدب ليوبولد سنغور وإيمي سيزار.. وللأخير نفس تحرري يُقرّ به من المناضل فرانتز فانون.

لقد دخل اتحاد الكتاب حالة بيات (Hibernation) تشبه حالة أهل الكهف، وأصابه ما أصاب جمعيات وتنظيمات أخرى فتحول من اتحاد إلى فرقة أو «سيبة»، أي مثل الأرض التي يملكها الجميع ولا يملكها أحد بعينه، ولا يتذكر سوى القليل مقولة أحد مؤسسيه الأوائل المبدع والمناضل المرحوم مالك حداد: «الفرنسية هي منفاي».

تجد أدبيات الفصيل الأول، وخاصة بعض تياراته السلفية الموصوفة بالجهادية والتكفيرية، تجد طريقها للتداول في بعض الأوساط عن طريق وسائط الاتصال والتبليغ الحديثة، وخاصة شبكات الأنترنيت والفضائيات، ومن الصعب مراقبتها أو تقديم اجتهادات مغايرة لها في المنهجية والموضوع في نفس الساحة الدينية والفكرية التي تختارها هي.

لا يكفي للإقناع أن يردد أهل الذكر أن الإسلام دين الوسطية، وأن كل بدعة ضلالة، فقد يتساءل شبابنا ببراءة أين يوجد الوسط؟ وهل هو متحرك أم ثابت؟ وبالتالي هل أن وسطية الأمس هي وسطية اليوم؟ وماذا تعني البدعة بعد كل التحولات التي حدثت في مجتمعنا وفي العالم من حولنا بعد نحو خمسين عاما من الاستقلال، ومن يحكم على البدعة بالضلالة في دين عظيم أحدث ثورة كبرى في تاريخ الإنسانية بإلغاء الإكليركية وصكوك الغفران، فلا يمكن أن يكون الإسلام أقل تطويرا للإنسانية، وقد جاء بعد الميسيحية بحوالي ستة قرون وكيف يتفهم شباب بداية هذا القرن أن تجيز بعض البلدان الإسلامية للنساء ركوب الطائرة وتعتبر قيادة المرأة للسيارة بدعة وضربا من الفحش والفسوق؟!

من المحتمل أن تجد التساؤلات السابقة مداخل للجواب إذا وجدنا في عالمنا العربي والإسلامي فقهاء في الدين وأصول الشريعة وهم في نفس الوقت من علماء الفيزياء والفلك وعلوم الأحياء وفلسفة التاريخ والإقتصاد وعلوم اللسان إلخ ...

يمكن لأولئك العلماء الراسخين في علوم الدنيا والدين أن يعيدوا اكتشاف مكنونات المنقول والمعقول (مثال المهندس في الكهرباء وفيلسوف الحضارة المرحوم مالك بن نبي) ويقترحون منظومة معرفية وقيمية بديلة، ولا تبحث عن المثال من خارجها، كما كان حال الأمّة الإسلامية

في القرن الرابع الهجري كما أعاد اكتشاف تفوقها وحداثتها العالمية المستشرق السويسري آدم ميتز (A.Metz) في القرن الثالث الهجري أي دولة القوة والحداثة والتقدم، وهو ما يتفرد به الغرب المهيمن منذ انطلاق عصر النهضة والتصنيع وإلى اليوم.

سادسا : المصالحة الثقافية : هل هناك بديل آخر ؟

1– تتبعنا في دراسة سابقة (1998) قسما من مصفوفة المفاهيم في محاولة للتعرف على مدلولها في الأذهان ومدى تعبيرها عن الواقع الثقافي السياسي في بلادنا خلال الأزمة التي عصفت بالجزائر في حقبة التسعينيات، ولا زالت مضاعفاتها تطفو على السطح بنفس التخندق والخوف والتخويف لدى الفصلين اللذين أشرنا إليهما سابقا.

وعلى الرغم من أنه بعد حوالي عقد لم يقدم أي تيار فكري أو سياسي بديلا عن المصالحة الوطنية مع ذاتنا الحضارية دينا ودنيا ومع ماضينا قبل الثورة وبعدها ومع العالم من حولنا، باستثناء الاعتراض على المصالحة نفسها والدعوة للعودة لنقطة الصفر المأساوية أو المطالبة بالمكاشفة والمحاكمة على منوال جنوب إفريقيا (أبارتايد طبّقة المستوطنين البيض على الأهالي السود).

2– لقد تصالحت بلادنا مع فرنسا بحكم بنود **اتفاقيات إيفيان** وهي منذ 1962 شريك الجزائر الأول على الصعيد الدولي دون أن تنسى الأغلبية من شعبنا ما اقترفه الغزاة من جرائم وما خلفته جيوشهم من دمار، أليس من الحكمة أن لا نرفض تضميد الجراح وتوبة المضللين وهم في نهاية المطاف يعيشون على هذه الأرض أبا عن جد؟ والعمل بكل الوسائل على تضييق الخناق في نفس الوقت على المصرّين على الخراب والفتنة، وإبطال مفعول ما يروجونه عن إعادة أسلمة الجزائر التي اعتنق شعبها كلّه الإسلام منذ 1300 عام وكان حصنه المنيع أثناء حقبة الاحتلال الصليبي الانتقامي من جزائر جهاد البحر الذي واجه أثناءه أبطال الأسطول الجزائري لحوالي 300 عام في المتوسط وبحر الشمال والأدرياتيك الغزو البرتغالي والإسباني بل التكتل المسيحي العالمي.

3– لا شك أن هناك من يخدم مصالحه ورغباته في الزعامة الإقليمية بقاء الوضع على ما كان عليه قبل عشر سنوات، وهناك أيضا من يبحث عن قواعد لجيوشه وأساطيله في حربه العالمية ضد الإرهاب الدولي وإظهار الإسلام على أنه خطر على البشرية كلها، لأنه ضد الحرية ونقيض للديمقراطية ومرادف للتخلف واضطهاد المرأة كما يدعي ذلك منظرون من أمثال المستشرق الأمريكي برنارد لوس الذي أصيب بهستيريا الحقد على الإسلام في نهاية حياته وآخرين من زعماء اليمين المتطرف في الغرب وتلاميذهم في العالم الإسلامي والناطقين بأسمهم في وسائط الإعلام الذين يوهمون رأيهم العام بأن نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم هو مؤسس الإرهاب والتعصب (الصور الكاريكاتورية في هولنده وغيرها...)، من الذين يواصلون حربهم الصليبية من طرف واحد وطلبا للشهرة والنجومية السهلة..

كان من الممكن في نظرنا أن يكون **الردّ الأوّل** على ذلك التجريح الاستفزازي بطريقة تجعل المتخفين وراء حرية التعبير وحرية الصحافة يشعرون بعقدة الذنب، وذلك بالتقليل أولا من شأن ذلك التجريح على خاتم الأنبياء الذي مجّده منصفون في الغرب مثل غوته (Goete) 1832 أكبر أدباء ألمانيا الذي اعتبر في كتابه (Mahomet) رسول الإسلام أعظم شخصية أنجبتها البشرية وتوماس مور 1852 (Th. Moore) من أشهر شعراء إيرلنده وبريطانيا في العصر الحديث الذي قال بعد قراءته لترجمة القرآن : «آه . . أغفرلي يا إلاهي لو أن الجنّة كما يصفها محمد فإني سأعبد الله» .

وأن يتركز **الاهتمام ثانيا** على تعريف الرأي العام في العالم المسيحي بالتمجيد الذي خص به القرآن الكريم عيسى عليه السلام، كلما ورد ذكره في آي الذكر الحكيم، وأن لا أحد من المسلمين يذكر المسيح وأمه العذراء بسوء، وعامة المسلمين يميزون بوضوح بين المسيحية السمحاء وبين أولئك الذين يُحرّفون تعاليمها لأغراض الغزو والقهر والاستغلال وادعاء التمدين منذ كنيسة روما وبيزنطة حتى قساوسة أمريكا وبعض ساستها الحاليين .

قد يكون هذا المسعى بمدخليه الأول والثاني أكثر جدوى ومردودية من الاحتجاجات العاطفية ومحاصرة السفارات الأجنبية والمسيرات الغاضبة التي تعني كلها أن الاستفزاز قد حقق هدفه الأصلي، وهو أن العرب والمسلمين دولا ومجتمعات، وقسما كبيرا من النخب وعامة الناس عاجزون عن الفعل بل هم موضوع للفعل (أي مفعول بهم) وقانعون بردّ الفعل وأحيانا بعفوية ساذجة وبعد فوات الأوان .

لنتساءل وبلادنا تقف على أبواب مخبر النظام العالمي التسلّطي ومجهره الكشّاف مركّز على ما فيها من ساكن ومتحرّك ما هو مردود حملة الاستنكار غير المنظّم من طرف بعض المؤسسات والمتابعة الإعلاميّة (المباركة للحملة والمندّدة بها)؟ وهل أنّ موجة التنصير في منطقة معيّنة أو في كلّ الوطن قد تنجح فيما فشل فيه الاحتلال بعدّته وعتاده كما اعترف بذلك الكاردينال لافيجري؟ ماذا جنته بلادنا من قضيّة المرأة التي اعتنقت المسيحيّة في تيارت؟

إن تعامل بعض المؤسسات ووسائل الإعلام مع موجة التنصير التي فشلت أثناء الاحتلال بعدّته وعتاده كما اعترف بذلك الكاردينال لافيجري نفسه، وتبدو معالجة « حالة » امرأة تيارت المتمسحة مثال على ذلك، فقد أتاحت للجمعيات « غير الحكومية » في أروبا وأمريكا الفرصة لشن حملة على الجزائر وتصنيف بلادنا في تقاريرها (بما فيها كتابة الدولة للخارجية الأمريكية) من بين الدول التي تضطهد حرية المعتقد .

تساعد التوضيحات الأولية السابقة على التعرف على الخريطة المجتمعية الثقافية السياسية التي يدور فيها الصراع بين النخب في الجزائر أساسا وعلى الساحة العربية الإسلامية بوجه عام، قد يتخذ ذلك الصراع كما أسلفنا من الجدل حول اللغة وحمولتها من التراث مدخلا للسخط على

الذات والهرب إلى الآخر وقد يكون الإسلام كما ينتسب إليه بعض المسلمين، وليس كما هو في روحانيته وإشعاعه الحضاري، هو مصدر النقمة واليأس من أي مستقبل للأمة والحكم عليها بأن قدرها المحتوم هو التخلف والتبعية.

وإذا تعلق الأمر بالإسلام عقيدة ومسلكية ومشروعا متجددا للمستقبل فإننا نبدي الملاحظتين التاليتين:

أولاهما: أن الإنسان في حاجة إلى ملجإ روحي يضمن له السكينة والطمأنينة فقبل الرسالات السماوية وبعدها عند القبائل المعزولة في أدغال إفريقيا وأقاصي الكراييب، وجد علماء التحليل النفسي (فرويد –يونغ – أدلر) في الطواطم وما يلازمه من طقوس وتابو تقديسي، الحاجة الأولية لحماية قوة غائبة عن الأنظار ومجسدة على الأرض تقدم بواسطتها القرابين إلى أنّه الخير خوفا من شيطان الشر.

وقد قامت على هذا التفسير فرضيات الأنثروبولوجيين الذين عايشوا البدائيين في حياتهم اليومية وثقافاتهم في حالتها الخام، إذن فالتدين ظاهرة تاريخية مجتمعية وحتى الملاحدة والغنوصيين إنما يرفضون ديانة ويصنعون أخرى مختلفة (إيديولوجية).

ثانيتهما: هناك مؤشرات تلوح في الأفق تبشر بمعالم حداثة لدى بعض شعوب آسيا الإسلامية مثل ماليزيا وتركيا وإلى حد ما – أندونيسيا وهي تنعثر في باكستان التي تتمتع بنخبة عالية المستوى كثير منها في المهجر (شمال أمريكا وبريطانيا) ولكن مدينة الإسلام (إسلام أباد) المجاورة للعملاقين الهند والصين التي أنقذها الإسلام من اضطهاد الهندوس، وقد يفككها الصراع الحالي حول الإسلام والخلفيّة العرقية والطائفية ويدفع بها إلى حرب أهلية تسلبها إنجازها النووي أو تضعه تحت الحراسة الدولية وهو ما تنتظره جارتها الهند وإسرائيل والحليف الميكيافيلي الولايات المتحدة.

تلك أمثلة لتعاملنا غير العقلاني مع قضايا عصرنا، ويبقى أن نعيد طرح إشكاليّة الحداثة في صيغة السؤالين التاليين:

كيف انطلق مشروع الحداثة؟ وما هي منزلتنا نحن فيه بعد قرن أو يزيد من الغزل العذري ببريقه أحيانا، والتنديد أحيانا أخرى بمساوئه وسرابه؟

نمهد للجواب بعينة من المفاهيم التي تتكرر في الخطاب الثقافي السياسي فالسياسي ينتمي في شعوره أولا شعوره (Subconscience) إلى ثقافة قبولا أو رفضا، والمثقف أيضا حتى في حالة الإعلاء (Transcendantal) ليس مجرد شاشة أو كاميرا خالية من الميول والاتجاهات ولذلك يمكن أن يعتبر المثقف سياسيا غير محترف.

نذكر الآن من بين المفاهيم التي راجت منذ حقبة التسعينيات ما يلي:

- التراجع الخصب la régression féconde .
- الاستقوار (من قاوري) .
- المجتمع المفيد .
- المجتمع المستفيد .
- يجوز .. لا يجوز : فتاوي ارتجالية على قارعة الطريق وفي المجالس والفضائيات والانترنت .
- الماضوية (Le passerisme) .
- الظلامية والقرون أوسطية .
- العلمانية أو اللائكية الإلحادية .
- الثوابت الوطنية .

سابعا : الكنيسة ... التجديد والأعداء من الداخل

أشرنا إلى مصفوفة المصطلحات والمفاهيم ومن السهل التعرف على الفصيل الذي وضعها ويستعملها في منابره الخاصة لنلقي نظرة سريعة على تطور مفهوم الحداثة في الغرب ومشتقاته لدى النخب في البلاد العربية والإسلامية .

بدأ استعمال مفهوم الحداثة (Modernisme) باعتباره مصطلحا إبستمولوجيا في إيطاليا سنة 1904، للإشارة إلى التيار المجدد في اللاهوت الكنسي الكاثوليكي، وقد اعتبر الكرسي البابوي المناهج الجديدة للبحث في علوم الدين تمردا على التوجه التقليدي للفاتيكان وتعاليمه المدرسية (Scolastiques) المتوارثة منذ تأسيس الكنيسة على أيدي القديسين الأوائل .

إذن، بالتوازي مع مفهوم الانتقرية والانتقرالية (integrisme- integralisme) الشائع عندنا فإن التحديثية هي أيضا مقولة تخصّ المناهضين للمدرسية أو (السكولاستيه)، أو من سمتهم الكنيسة «الأعداء من الداخل» ويرى بولا (E.Poulat) في كتابه عن التاريخ والاعتقاد والنقد في أزمة الحداثة[1]، إن فهم إشكالية الحداثة ينبغي أن يندرج في ثلاث مستويات :

1-1- المستوى الكرونولوجي للصراع بين العلم والإيمان وخاصة بعد المجمع الكنسي الثاني في بداية هذا القرن .

1-2- تحليل المناظرات المذهبية والإيديولوجية داخل الكنيسة بفروعها المختلفة، وبين المسيحية بوجه عام ومحيطها الاجتماعي والثقافي بوجه خاص .

1-3- فهم وتحليل الظواهر الاجتماعية-الثقافية التي حركتها الكنيسة، أو التي كانت ردا عليها، أو امتدادا لنفوذها .

ولكن إشكالية الحداثة انتقلت بسرعة من الجدل داخل الكنيسة وحولها، إلى إنتاج تلك الحداثة عن طريق التزامن بين الثورة التي حدثت في ميدان العلوم والفنون والآداب المتواصلة في غرب أوروبا إلى اليوم، وبين الثورة الصناعية التي انطلقت في إيطاليا وبريطانيا ثم عمت أوربا وشمال أمريكا.

وهكذا تضاعف حجم المعرفة بالإنسان والطبيعة وتزايدت الثقة في العقل والآلة، وقد قدر ماك لوهان 1965 (Mc.Luhun) التطور المذهل للعلوم والفنون بواسطة الوحدة الزمنية على النحو التالي:

إن حجم ما أنتجه الإنسان من المعرفة والتكنولوجيا في ثلاث سنوات من العشرية (70–60)، وحدها يساوي ثلاثين سنة من بداية هذا القرن، وثلاثمائة سنة من عصر نيوتن، وثلاثة آلاف سنة من عصر الكهوف!.

نقول إن إشكالية الحداثة أو التحديث انتقلت من نطاق الكنيسة إلى ميدان الثورة العلمية والصناعية وفي هذا المجال أيضا لم يتوقّف تدفّق الأفكار والمذاهب والفعاليات فليست المذاهب الوجودية (Existentislistes) والحركات الدينية والطوائف (Sectes) مثل حركة «مون» الكورية الأصل والبودية والتراجع المقنع في فرنسا مثلا عن اللائكية بوصفها باللائكية بالإيجابية (Positive) وحركات «الخضر» من دعاة حماية الطبيعة إلا طرحا جديدا لإشكالية الحداثة، ولكن بتعقيدات أشد من سابقتها تظهر في عشرات التيارات التي ظهرت في النصف الأخير من القرن الماضي في صورة التجريدية والتكعيبيّة في الفن والشخصانية والبنيوية والظاهراتية.

كما ظهر اجتماعيا وسياسيا في صورة العودة إلى الريف وأهمية الجمع بين الديمقراطية والمسيحية في أحزاب تحمل هذا الإسم فقد حكم الحزب الديمقراطي المسيحي إيطاليا وأغلب البلدان الاسكندنافية وألمانيا ويحكم اليوم الولايات المتحدة التي يصفها المفكر والأديب الأمريكي من أصل فلسطيني إدوارد سعيد بأنها بلد بنظام ظاهره جمهوري علماني في مجتمع شديد التدين بل تعتقد بعض الدوائر القوية التأثير في السلطة هناك أنها مكلفة بحمل رسالة المسيح إلى العالم بأسره.

والملاحظ أن نفوذ هذه الأحزاب قد تزايد بعد الحرب العالمية الثانية للرد عن تنامي الأحزاب الشيوعية في أوروبا وظهور الاتحاد السوفياتي كقوة سياسية ايديولوجية على الساحة الدولية، وقد اضطرت الديمقراطيات المسيحية لعقد وفاقات «تاريخية» مع الأحزاب الشيوعية القوية مثلما حدث في إيطاليا في مستهل السبعينيات، قبل أن تظهر بوادر الضعف والانهيار في المعسكر الاشتراكي في الثمانينيات من القرن الماضي وتصبح كنيسة روما بقيادة البابا السابق (من أصل بولندي) قوّة ضاربة لتأجيج التمرد والمساهمة في الإجهاز على الاتحاد السوفياتي.

ثامنا : تجارب للحداثة بلا توطين

أما في الجزائر وباقي المنطقة العربية فليس للحداثة سوى معاني مجازية، بسبب ضعف وتيرة الإنتاج المحلي للحداثة، وتستخدم النخب الثقافية والسياسية هذا المفهوم للإشارة إلى مدلولين هما :

1– التراكم الإبداعي للفكر العربي الإسلامي وهو تراكم على درجة كبيرة من الأهمية في سياقه الحضاري والتاريخي، ولكنه الآن أصبح جزءا من الحركة المستمرة للتاريخ، وينبغي القول بأنه لا يعتبر الآن إبداعا على الإطلاق، أي أنه ليس في موقع قيادي في الفكر الإنساني، وتأسيسه الحقيقي يتمثل في إخضاعه لنقد صارم (لا علاقة له بالتفاخر العنتري والرثاء) من طرف المعاصرين يُسهّل إثراءه من الداخل وتسريع حركته في ضوء المنجزات العلمية والتكنولوجية، وهذا هو الطريق الصحيح والشاق في نفس الوقت لزرع الحداثة والتقدم الذي اتبعه بلد مثل الصين الشعبية التي فرضت طب «الإبر»، على جامعة هارفارد وتقطع في نفس الوقت أشواطا كثيرة لاستيعاب تكنولوجيا الفضاء والتحكم في التيكات الخمسة (Les cinq Tiques) وهي الانفورماتيك، والتليماتيك، والبيوتكنيك، والإلكترونيك، والبيروتيك، وبعد تخلف مزمن وعزلة جعلتها سوقا للعفيون ومجزأة إلى كانوتات للنفوذ البرتغالي والبريطاني ثم الفرنسي والأمريكي استفاقت الصين في منتصف القرن الماضي وأصبحت منذ نهاية القرن الماضي تسمى القوة الهادئة (Soft power) وتتطلع الصين لأن تكون قبل منتصف هذا القرن قوة عالمية (Global power) وقد أعلنت قيادتها في افتتاح الألعاب الأولمبية بأن العالم كان يطالب الصين بأن تنفتح على العالم والآن فإن الصين تطالب العالم بأن ينفتح عليها، وهي تخوض السباق نحو الفضاء الخارجي بنجاح.

2– التراكم الإبداعي الغربي وهو المدلول الأكثر شيوعا بين النخب التي تبنت في مستهل هذا القرن المعيار الأوروبي لتحديد مضمون الحداثة ومسعاها وهكذا أصبحت الحداثة هي المنقولة شكلا لأن النخب المحلية لا تساهم فيها محليا بشيء يذكر، وتعني في محصلتها مجرد التشبه بالأقوى وتقليده في محاسنه ومساوئه.

ولهذا السبب فشلت تجارب على درجة كبيرة من الأهمية التاريخية مثل تجربة محمد علي في مصر وكمال أتاتورك في تركيا والشاه رضا بهلوي في إيران، ويتمثل الفشل في العجز عن زرع الحداثة في المجتمع، وقد اقتصر استهلاك منتجاتها والانبهار بمصادرها في أروبا وأمريكا على حلقات ضيقة من طبقة النبلاء من ذوي الجاه والثروة تتميز عن «الغاشي»، بالسلوك القشري في مستوى الذهنيات و«الخدمة» التابعة في مستوى الصناعة والتكنولوجيا وفن الحياة، وقد وصلت الخدمة التابعة في السنوات الأخيرة في عدد من بلدان المنطقة إلى الافتخار بأنها مجرد قواعد لخدمة استرتيجية العظمة والطغيان للقوى الأجنبيّة كما حدث في حروب الشرق الأوسط والخليج المتكررة.

إن الدولة التي حملت لواء التحديث في نصف القرن الماضي، لم تضمن لخطابها الثوري أو الليبرالي أي محتوى معرفي يؤسس للتحديث داخل المجتمع وينشر أثاره في العمق، فقد كان (ومازال)، التشبه الشكلي بالغرب هو المقياس الأهم للحداثة.

لم يكن بالإمكان وضع أساس معرفي (ابستمولوجي)، سلوكي للحداثة بسبب الحرب الشعواء التي شنتها قيادات غير مستنيرة على حرية الفكر، والفكر الحر بالمعنى الذي وضعه كانط (E.kant) في كتابه الشهير « نقد العقل الخالص » (critique de la raison pure).

لذلك واجهت الأمة واقعها كما هو وبلا مساحيق التجميل وعندما انهزمت الأنظمة العربية في مجابهاتها غير الجادة مع إسرئيل، وخاصة سنة 1967، انطلق النقد اللاذغ من عنانه واعتبر الكثير من المثقفين أن الديكتاتورية هي أم التخلف وأبوه، فقد أدى كبت الحريات وتدجين الفكر وسيادة ثقافة البلاط، إلى التشرد (Vagabandage) الحضاري للأمة وهزائمها المتلاحقة وتبعيتها المتزايدة للنظام الدولي وخضوعها لضغوطاته بلا مقاومة، أدى هذا الإقرار بالإخفاق والعجز عن تقديم البدائل وخاصة في ميدان التنمية إلى موجة من رثاء الذات أو جلدها كما يقول شعراء مسلسل النكبات (بالجمع)، ولم يبق أمام شرائح واسعة من الشعب ومن بعض النخب سوى التفتيش في مواقف وأوراق السلف عن إكسير لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، أي أن خيبة الأنظمة هو أيضا إخفاق لحداثتها القشورية والمغشوشة.

وجد الكثير من الشباب التائه والمحبط الملجأ في المساجد وأوراق القدماء لتجاوز الحاضر غير المقنع وتحدي الآخر الأكثر قوة ورفاهية.

إنّ التدين (Religiosité) في حد ذاته ليس ظاهرة سلبية فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والاقتداء برسولنا الأكرم محمد (ص) وهو المثل الأعلى في شؤون الدين والدنيا، ولكن الإسلام ليس رهبانية وعبادات آلية (ميكانيكية) تمحوها المعاملات السيئة مثل الغش والكسل والفساد في الأرض بدل إصلاحها.

وبعد أن تشكك جيل السبعينيات والثمانينيات في الأطروحات الليبيرالية لمفكرين سيطروا على الساحة مثل زكي نجيب محمود وقسطنطين زريق وعبد الله عبد الدائم...، فإنه لا يرى بوضوح البدائل التي يقدمها فكر آخر يتردد بين الليبرالية واليسارية كما هو الحال عند عبد الله العروي، وأدونيس، والجابري، وأنور عبد المالك ومصطفى الأشرف، وعبد الله شريط وعبد المجيد مزيان، ومحمد أركون.. ولا يقدم له اليسار الماركسي من خلال أطروحاته التاريخية أو الاجتماعية كما تظهر عند محمد حربي والطيب تيزيني ومحمود أمين العالم وسمير أمين وغيرهم لا يقدم تصورا يتجاوز عقبات الحاضر ويلقي بسلم نحو المستقبل.

وأيا كان المدخل نحو الحداثة فإن التراث الثقافي الذي امتزج إلى حد بعيد بالمرجعية الإسلامية في جانبيها العقائدي والقيمي (القيم الموجهة للسلوك)، لابد أن تؤخذ بعين الاعتبار فبدل أن يكون

الصراع بين عصرانيين وسلفيين أو تقليديين لا يملك أي منهما القدرة الفعلية للتأثير على المستقبل، ينبغي أن يكون التجاوز(ونعني به هنا النقد ونقد النقد والإبداع)، حول طريقة تطويع الموروث العربي الإسلامي لمقتضيات العصر وتمثل (Assimilation) التراكم الهائل للمعرفة والتكنولوجيا برؤيتنا الخاصة ووفق تجربتنا التاريخية، فالمعاصرة والحداثة هي إلى حد كبير إسقاط (Projection) للذات التاريخية على المستقبل فهل تلد ذاتنا التاريخية المعاصرة في القرن الواحد والعشرين؟

ولتأييد هذا الطرح، يمكن النظر بسرعة إلى ما علق بأذهان النخب في بلادنا وفي المنطقة العربية من معالم الحداثة الأروأمريكية المهيمنة على العالم وخاصة منذ الفترة ما بين الحربين وإنطلاق المشروع الجديد (New deal)، في الولايات المتحدة أولا، ثم غرب أوروبا ثانيا، وهو المشروع الذي أدى إلى الثورة التكنولوجية المعاصرة، وسط تغيرات اجتماعية متسارعة، تنطلق من مراكز جذب ودفع متعددة أهمها الذات المفكرة (Cogito ergo sum)، التي تحاور نفسها وتتحاور مع من حولها، جدل بين العقل والإيمان، يسمح كل منهما للآخر بأن يذهب إلى أبعد مدى، وينسى البعض عندنا عند الحديث عن اللائكية والعقلانية أن ديكارت الذي وضع قواعد التفكير في كتابه المشهور « قواعد المنهج » Discours de la méthode، يصل في تأملاته الروحانية Méditations إلى حد التصوف والرهبنة، وأن باسكال الرياضي هو كاهن غارق في ميتافيزيقيا الكون والإنسان، ما بين غاليليو واينشتاين جسر دعائمه عقل وإيمان قد يكون أحدهما هو نقطة البداية ولكنهما في النهاية يلتقيان أمام بوابة المعرفة الكلية، التي يرى بيرغسون (H.Bergson) أن مفتاحها هو الحدس (Intuition)، أي ومضة تقع في منزلة–ما– بين العقل والروح.

خلاصة : مجتمع الحداثة وحداثة المجتمع

إن الذي يجذب الاهتمام ويستقطب جزءا كبيرا من الجدل والصراع الدائر اليوم بين القيادات والنخب هو الآثار المرتبطة بالحداثة كما صنعها الغرب وتتمثل فيما يلي :

1– تقلص الريف وتضخم المدينة (L'urbanisation) .
2– تفكك الولاء الجمعي العائلي والقبلي والقروي.
3– التوزيع الذري للعلاقات (Atomisation)، والفردية المطلقة (individualisme) .
4– الاستهلاكية وتشخيص المستهلكات بواسطة الإشهار الذي يفرض نوع وشكل السلع.
5– تحرير المرأة من وصاية العائلة وضغوط الضمير الجمعي.
6– كسر الحدود بين المقبول والمرفوض في العلاقات بين الجنسين.
7– اعتبار الجسم والمظهر قيمة عليا فالرشاقة بالنسبة للرجل والمرأة هي الشرط الأول للنجاح بحيث يصبح الجسم قيمة مطلقة فيما يخص المرأة حيث تقوم صناعات كاملة لتخفيف الوزن والمساحيق لغرض بيع الرشاقة والمتاجرة بالجنس ومثيراته (قلما يخلو إشهار من إغراء أنثوي) .

8– الانتقال من الحرية والديمقراطية إلى براغماتية نفعية تفرض على الرأي العام نموذج الحياة والاتجاهات السياسية والثقافية الاجتماعية وتلعب أجهزة الإعلام القوية ومؤسسات قياس الرأي العام دورا هاما في نمذجة (Modelling)، المجتمع وتوهمه بأنه حر في اختياراته ونمط حياته.

وهذه النقطة بالذات هي التي عبر عنها المفكر اليساري الأمريكي أريك فروم (E. Fromm) بقوله أن مشكلة العصر ينبغي أن تعاد صياغتها على النحو التالي: كيف تكون لا ماذا تملك (How to be not what you have).

هذه بعض الانعكاسات السسيولوجية للحداثة لا ينبغي الحكم عليها من الموقع الحضاري التي ننتمي إليه، بل من خلال السياق التاريخي الاجتماعي للبلدان التي أنتجت الحداثة في صورتها الراهنة، ولو سمحنا لخيالنا أن يحلق ويستحضر الصورة التالية وهي أن ينقل التلفزيون صورة وثائقية عن الحياة في بغداد أو بجاية أو القاهرة أو دمشق، أو فاس، أو تونس، في القرن الثالث أو الرابع الهجري، لمشاهدين أوروبيين في الحقبة نفسها ونستمع لاستجاباتهم لحداثة مجتمعاتنا في ذلك العهد وهي حداثة كانت بدون شك في مرتبة قيادية، يوجد الجواب في عنوان هذه الورقة: للحداثة بداية لها مسار بلا نهاية!

من هذا المنظور، ينبغي أن لا تخدعنا لفظيات الحداثة وغزلياتها القشورية التي تتوهم أن استهلاك الفائض من منتجاتها، ومدح ما عند الغير هو الحداثة، بينما المطلوب هو توطين العلم والتكنولوجيا بالعربية انطلاقا من تراثنا الصالح والجهد المتواصل لتحقيق تراكم الخبرات في مجالات البحث الأساسي التنظيري وتطبيقاته العملية، وأن يصحب ذلك إرادة وتصميم لدى النخب القيادية في الدولة وهيئات المجتمع المدني، لا تخضع للتقلبات الانفعالية والأمزجة الشخصية، إن الجزائر لم تبدأ اليوم ولن تتوقف غدا، ولا ينبغي أن يكون ماضي الأمة بانتصاراته وانجازاته وأخطائه وكبواته سجن لنا فالأمة التي ترى أن أمسها خير من يومها، ولا تستطيع أن تنمي رصيدها المعنوي وثرواتها المادية بعقول أبنائها وسواعدهم هي أمة لن يسمح لها في المستقبل القريب حتى التفرج من بعيد على السباق والمباراة التي قد تدور أشواطها القادمة خارج كوكب الأرض.

ليس من أحلام اليقظة الجزم بأن مؤهلات الجزائر المادية والمعنوية ترشحها لاعتلاء مكانة أسمى إذا خلصت النوايا وتضافرت الإرادات، وتجربة ثورة التحرير (1954–1962) تبرهن على أن انتصار الجزائر على ضعفها ممكن، ولا شك أن المصالحة الوطنية هي بداية الطريق للخروج من الحيرة والتردد، فلا تنمية ولا ازدهار بدون أمن واستقرار يمنع الآخرين من فرض قواعد

اللعبة كما حدث سنة 1994 (الوصاية المالية السياسية على الجزائر) هل نتذكر؟ وهل تنفع الذكرى لأولى الألباب؟!.

لا نزعم في كل ما سبق أية مزايدة على الوطنية، ولا الوكالة عن أي فصيل من فصائلها الناشطة في إطار قوانين الجمهورية، سواء أكانت في السلطة أم المعارضة، وأيا كانت مقولاتها وخطاباتها المعلنة.

إن ما سبق لا يزيد عن كونه وجهة نظر لا توزع التهم والبراءات على أحد، إن أكثر ما يشغلنا هو تسريع نهضة بلادنا، وتوطين المعرفة باللسان العربي، وتحقيق تراكم فيها، والوصول إلى تأهيل (mis a niveau) يقلل من التبعية للغير وفاء بوعد الثورة التحريرية وحلمها الجميل، وتحقيق مقولة الماوردي (القرن الرابع الهجري) الأمن أهنأ عيش والعدل أقوى جيش.

تلوح في الأفق دلائل على تحرر نخبنا في كثير من المواقع من الاغتراب بمعناه النفسي الحضاري ومن التخندق والتأدلج المغلق، وعندئذ تكون العربيّة لغة السيادة حقا، كما هي في دستورنا الجمهوري، والأمازيغية لغتنا الوطنيّة وخزان قسم كبير من تراث الأجداد، والفرنسية أو غيرها من اللغات من مصادر نقل العلوم والتكنولوجيات والإبداع العالمي إلينا، كما هو حال اللغات الأجنبية في البلدان الحريصة على انسجامها وتجانسها الاجتماعي الثقافي، فلا نكون نحن غنائم لها وخدما مجانيا في استراتيجياتها القديمة والجديدة.

ملحق I : منهجية عمل المجلس ولمحة عن أدائه

عمل المجلس خلال عهدته الأولى 1998–2003 بفريق يتكون من أعضاء يمثلون الإدارات والهيئات العمومية ومؤسسات البحث العلمي التابعة للجامعات والمعاهد العليا الوطنية، وكوّن في نهاية 2003 أفواجا من الخبراء وأساتذة الجامعات المتخصصين في المعجمية والترجمة والمصطلحية وأشرك في التخطيط والتنفيذ العديد من الوزراء ووكلاء الوزارات والمديرين العاملين في مختلف القطاعات التي لها علاقة بالجمهور، وأقام مع تلك القطاعات علاقات تشاور وحوار متواصلة لتعزيز مواقع العربية في الهياكل والمؤسّسات التي دخلتها في السنوات الماضية وعمل على تقديم الوسائل المشجعة على استعمالها في هيئات أخرى. كما عقد المجلس عدة لقاءات مع **منظمات المجتمع المدني** والجمعيات الأهلية عبر القطر للتعرف على العوائق التي تعترض عمليّة تعميم استعمال العربية في الحياة العملية وفي الإشهار والمحيط بوجه عام، واجتهد خبراؤه في تقديم الحلول في صورة أدلة أو قواميس ميسرة؛ مرفقة بنماذج للاستمارات والوثائق الإدارية الخاصة بالإدارات المركزية والمحليّة على مستوى القطر الجزائري.

يعتمد المجلس في مسعاه طريقة عملية تنأى باللسان العربي في الجزائر عن **التجاذبات الإيديولوجية والأحكام المسبقة عند البعض عن العربية والعروبة كما تبدو اليوم**، من خلال أوضاع الوطن العربي السياسية، وما يعانيه من تخلف بسبب الفجوة العلمية والتكنولوجية التي تمنعه من المشاركة في صنع حداثة العصر، مما أدى إلى انبهار البعض بما عند الآخر، وكراهية الذات، وانسحاب البعض الآخر إلى الماضي والعيش عالة على أمجاده، والاستغناء عن الجهد والاجتهاد.

يعمل المجلس على ضوء **معاناة جيل ما بعد التحرير من جرح الذاكرة** بسبب إنكار شخصيته الوطنية، وتحقير اللسان العربي طيلة حقبة الاحتلال الاستيطاني الفرنسي الإجرامي الذي دّمر الدولة ومؤسساتها ومارس إلى جانب الإبادة المادية إبادة معنوية لا زالت مضاعفاتها النفسية والثقافية ظاهرة إلى اليوم.

وتبيّن دراسة **الواقع اللغوي في الجزائر** وصيرورته التاريخية: أن الخريطة اللسانية تقدم المعطيات التالية:

– **فصحى اقترنت بالقرآن الكريم** وأدت إلى تقديس الحرف العربي وأصبحت آلية دفاعية ضد الأجنبي تستهدف التميز عنه، وإثبات الهوية العربية الإسلامية للجزائر في كل مدنها وأريافها؛

– **عامية** تمتزج في المدن بمفردات فرنسية يتم نطقها وفق مخارج الحروف العربية أو نطقها كما تنطق باللغة الفرنسية؛

– **لغة أمازيغية بعدة لهجات** فيها الكثير من المفردات العربية، كتبت حتى أواخر القرن 19 بالحرف العربي وهناك اليوم خلاف حول أي حرف تكتب به هل هو الحرف العربي أو اللاتيني أو التيفينارغ؟ وقد

نصّ تعديل دستوري سنة 2002 بمبادرة تاريخية من فخامة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة على اعتبارها لغة وطنية ولها محافظة سامية ومركز أبحاث تابع لوزارة التربية، كما تقرّر أن يكون لها مجلس أعلى وأكاديميّة للأبحاث العلمية.

– **لغة فرنسية** مستعملة في مستويات مختلفة بين فئات من النخبة والجيل الثاني من المغتربين في فرنسا، وقد تزايد انتشارها لأسباب أشرنا إلى بعضها في المحاور السابقة ويكاد ينشطر المجتمع الجزائري إلى ثلاثة أصناف:

– صنف أحادي اللغة (فرنسية).

– صنف يتقن اللغتين أو على الأقل يحسن إحداهما.

– صنف أحادي اللغة (عربية).

وقد ارتأى المجلس بالنظر إلى المعطيات السابقة الاعتماد في عمله الميداني على الأفكار التالية:

1– **لا توجد** لغة متقدمة أو متخلفة بذاتها، إن التقدم والتخلف من صفات الناطقين بها، والعربية تقدمت وأصبحت لغة الإبداع في العلوم والفنون والآداب في عصرها الزاهر، وتراجع منتوجها في تلك المجالات المعرفية عندما أصيب العالم العربي والإسلامي بالركود والفتن والتسلط الأجنبي؛

2– اللغة العربية **هي أساسا ثقافة وحضارة وليست عرقا أو سلالة**؛

3– **العربية الفصحى لغة واحدة وموحّدة** لأقطار الوطن العربي وجامعة بين نخبه وشعوبه ومن دواعي التجانس والانسجام في القطر الواحد وبين الأقطار العربية؛

4– العربيّة ليست **خصما للأمازيغية** فقد تعايشتا معا في وئام لأكثر من ألف عام، وقد ساهم الأمازيغ في الفضاء المغاربي كله في علومها وثقافتها وإلى اليوم، ومنهم الكثيرون من منطقة زواوة (القبائل) بالذات.

إنّ اللّغة العربيّة التي أُقصيت لأكثر من قرن في الجزائر لا تقصي اللّغات الأخرى ومنها الفرنسيّة؛ بهدف الاستفادة من ذخائرها العلميّة والإبداعيّة، وليس للتحول إلى خدمة تلك اللّغات والهروب إليها.

وقد أسس المجلس منذ 2003 منبرين لمناقشة الأفكار السابقة بين مختلف فصائل النخبة وضيوف الجزائر من البلاد العربية الشقيقة ومن أروبا يحمل الأول عنوان: **حوار الأفكار**، والثاني: منبر **فرسان البيان**، كما أنشأ هذه السنة (2008) منبرًا آخر تحت عنوان **شخصيّة ومسار** للتعريف بجهود السّلف والخلف في خدمة الثّقافة العربيّة وعلومها وآدابها في العصور الحديثة. كما تُوّجت جلسات الاستماع والتشاور مع مختلف دوائر الدولة بمجموعة من معاجم المصطلحات والأدلّة العمليّة لقيت اهتمام المعنيين من مسؤولين وموظفين نذكر من تلك الأدلّة:

– دليل **الإدارة**، للمصطلحات المعتمدة والتعابير المتداولة في مؤسسات الدولة؛

– المبرق قاموس **موسوعي للإعلام** والاتصال (مفاهيم ومصطلحات) نال جائزة اللغة العربية سنة 2001؛

– دليل وظيفي في التسيير **المالي والمحاسبي**؛

– دليل وظيفي في تسيير **الموارد البشرية**؛

– دليل **المحادثة الطبية**؛

– دليل **الوسائل العامة**؛

– دليل **المكتبية** Bureautique (تحت الطبع) .

وقد تم التحضير لتلك الأدلة بعدة ندوات وملتقيات تجمع بين الخبراء والمستعملين، وتقدم مشاريعها قبل اعتمادها للإثراء والتعديل من قبل القطاعات المعنية، وتستمدّ تلك الأدلّة والقواميس المصطلحات مما اختارته مجامع اللّغة العربيّة ومكتب تنسيق التعريب في الرباط، وتضع أمام كل مصطلح مقابله بالإنكليزية والفرنسية.

كما عقد المجلس عدّة ندوات وطنيّة وعربيّة ودوليّة وموائد مستديرة حول المسائل السابقة تمّ تدوين خلاصاتها ونشرها وتوزيعها بالمجان داخل الجزائر وخارجها، بعضها في صورة دفاتر الجيب، وبعضها الآخر دراسات فازت في المسابقات التي يعقدها المجلس كل سنتين في عدة موضوعات من بينها علوم العربيّة والطب والصيدلة والاقتصاد والاستشراف والترجمة المجموع يصل إلى 80 إصدارا خلال السنوات الخمس الماضية بما فيه مجلته الدوريّة النصف سنوية (انظر الجدول الملحق) .

خلاصة :

إن العناية بلغتنا الجميلة لا يعني الاكتفاء بتمجيد الماضي أو الهروب فكرا أو لسانا إلى الآخر، بل يحتاج إلى إرادة سياسية تثمّن جهود العلماء والأدباء في الجامعات والمخابر، ومراكز البحث العلمي، وإلى تحديث مناهج ومضامين التربية والتكوين، وتوفير الشروط لاستعادة (الكفاءات) المتواجدة في المهجر، ووضع إستراتيجية بعيدة المدى لا تخضع للأمزجة الشخصية لتدارك الفجوة التي تفصلنا عن العالم المتقدم وتوطين المعرفة تمهيدًا لإنتاجها بلغتنا العربية الجميلة، واعتبار ذلك من متطلبات الأمن الوطني، ولا شك أنّ من أهم شروطه دعم الانسجام والتجانس الثقافي اللساني بين كل فئاته، واحترام الخصوصيات المحلية من ثقافات وألسنة فرعية تنهل من تاريخ مشترك، وهوية جامعة يعتز الجميع بالانتماء إليها وجوهرها مثلت الإسلام والعربية والأمازيغية المتمازجة في ضمير الإنسان الجزائري ماضيا وحاضرا. ويبقى اللسان العربي على مستوى المنطقة مغربا ومشرقا آخر المعالم الجامعة للعالم العربي قبل وبعد التمايزات الإيديولوجية والسياسية والمذهبية القديمة والحديثة في منطقتنا.

ولعــل من الشجاعـــة الفكرية والأخلاقية أن نشير إلى أن الكثير من الدراســات الميدانيــة تنبه إلى ما تعانيه اللغة العربية في معظـم البلدان العربية من تقهقر وتهميش ومزاحمة العاميات القطرية حتى بين المختصين في لسانها وآدابها وتفضيل اللغة الأولى للعولمة أي الإنكليزية والمعاقل القديمة للغة الفرنسية.

لقد صمدت العربية في مواجهة المدّ الكولونيالي في أحلك المراحل التاريخية عن طريق النضال الشعبي والمؤسسات التقليدية، وهي اليوم في حاجة إلى النهوض بواسطة حماية الدولة والمجتمع لها، وبقدرتها على المنافسة في عالم القرن 21 بما تنتجه نخبها العالمة والمبدعة في مجالات العلم والتقانة والفنــون الجميلـة والآداب باللسان العربي، وبما ينقل إليه عن طريق الترجمــة، وهي تعتبر في كل اللغات والثقافات، بمثابة الأكسجين الذي ينمي الرصيد المعجمي وينعش الخيال الإبداعي ويزيد من التراكم العلمي.

ملحق II : عينة من إصدارات المجلس 2000 ـ 2008

1- (الكتب)

الرقم	العنوان	المؤلف	تاريخ الإصدار	ملاحظات
01	معجم المصطلحات الإدارية	جماعي	2002	مجموعة عمل « المصطلح الإداري »
02	إتقان اللغة العربية في التعليم	جماعي	2002	أعمال ندوة
03	أعمال الموسم الثقافي	جماعي	2002	مدونة المحاضرات الملقاة عام 2000
04	مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية	جماعي	2001	أعمال ندوة
05	تيسير النحو	جماعي	2001	أعمال ندوة
06	مساهمة اللغة العربية في التضامن والتواصل	جماعي	2003	أعمال ندوة
07	تأملات في الخطاب الجامعي	واحد	2004	جائزة «**اللغة العربية**»
08	أهمية الترجمة وشروط إحيائها	جماعي	2007/2002	أعمال ندوة، أعيد طبعها سنة2007 في إطار الجزائر عاصمة الثقافة العربية
09	سوائح وارتسامات عابر سبيل	واحد	2004	أ.محمد الصالح رمضان
10	دور وسائل الإعلام	جماعي	2004	أعمال يوم دراسي
11	قاموس المبرق	واحد	2007/2004	جائزة اللغة العربية، أعيد طبعها سنة 2007 في إطار الجزائر عاصمة الثقافة العربية
12	دراسات حول اللغة العربية في الجزائر	واحد	2005	جائزة «**اللغة العربية**»
13	فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي	واحد	2005	جائزة «**اللغة العربية**»
14	الفهم اللغوي القرائي	واحد	2005	جائزة «**اللغة العربية**»
15	حب التميز عند الطلبة	واحد	2005	جائزة «**اللغة العربية**»
16	ظاهرة التسيب الإداري في الجزائر	واحد	2005	جائزة «**اللغة العربية**»

17	اللغة العربية في تكنولوجيات المعلوميات	جماعي	2007/2005	أعمال ندوة، أعيد طبعها سنة 2007 في إطار الجزائر عاصمة الثقافة العربية
18	الكهرومغناطيسية	واحد	2005	جائزة «**اللغة العربية**»
19	الكهرباء الساكنة والمتحركة	واحد	2005	د.رضا أوهايبية
20	الدارة الكهربائية	واحد	2005	د.رضا أوهايبية
21	الدليل الوظيفي في إدارة الموارد البشرية	جماعي	2006	مجموعة عمل مكونة من خبراء
22	الدليل الوظيفي في التسيير المالي والمحاسبة	جماعي	2006	مجموعة عمل مكونة من خبراء
23	دليل المحادثة الطبية	جماعي	2006	مجموعة عمل مكونة من خبراء
24	مظاهر وحدة المجتمع الجزائري	جماعي	2007/2006	أعمال ندوة، أعيد طبعها سنة2007 في إطار الجزائر عاصمة الثقافة العربية
25	الطب الشرعي	واحد	2006	جائزة «**اللغة العربية**»
26	وطن إزيس	واحد	2006	جائزة «**اللغة العربية**»
27	الثورة التكنولوجية العلمية	واحد	2006	جائزة «**اللغة العربية**»
28	البعد اللامرئي	واحد	2006	جائزة «**اللغة العربية**»
29	علامات الحياة والممات	واحد	2006	جائزة «**اللغة العربية**»
30	أنوار التحلي ج1	واحد	2006	جائزة «**اللغة العربية**»
31	أنوار التحلي ج2	واحد	2006	جائزة «**اللغة العربية**»
32	المجتمع المدني وترقية استعمال اللغة العربية.	جماعي	2007	أعمال يوم دراسي
33	الفصحى وعاميتها.	جماعي	2008	أعمال ندوة، تحت الطبع
34	الطريق إلى مجتمع المعرفة: وأهمية نشرها باللغة العربية.	جماعي	2008	أعمال ندوة، تحت الطبع
35	تطوير البرمجيات التطبيقية باللغة العربية: خطوات نحو الإدارة الإلكترونية.	جماعي	2008	أعمال ندوة، تحت الطبع

2- المجلات : مجلة نصف سنوية، والموسومة بـ: اللغة العربية.

من العدد 1 إلى العدد 19

3- الدفاتر : وهي خلاصات للمحاضرات والموائد المستديرة.

الرقم	العنوان	المؤلف	التاريخ
01	اللغة العربية في الهيئات الدستورية	د/ عبد الوهاب دربال	2005
02	العلاقة بين الفصحى والعامية	جماعي (مائدة مستديرة)	2005
03	وضعية التعليم في الجزائر	أ. محمد الطاهر زرهوني	2005
04	تكوين الإطارات الجزائرية أثناء حرب التحرير	جماعي (مائدة مستديرة)	2005
05	ملامح خريج الجامعة	د/ محمد سعيد الحفار	2005
06	منهج النحو عند ابن رشد	د. عمار طالبي	2005
07	جمعية العلماء المسلمين	جماعي (مائدة مستديرة)	2005
08	ثقافة الطفل	جماعي (مائدة مستديرة)	2005
09	استعمال اللغة العربية في الإدارة	جماعي(يوم دراسي)	2005
10	دور الاتحاد العام للطلبة الجزائريين	جماعي (مائدة مستديرة)	2005
11	الفقيه والسياسة في الغرب الإسلامي	جائزة «**اللغة العربية**»	2005
12	دور الأدب الشعبي في المقاومة الوطنية	الأستاذ: عبد القادر خليفي	2005
13	الصلح في المجتمع الجزائري	الأستاذ: محمد أرزقي فراد	2005
14	الطب ولغة والمريض	جماعي (مائدة مستديرة)	2006
15	ثقافة الطفل خارج المدرسة	جماعي (مائدة مستديرة)	2006
16	توطين المعرفة العلمية والتكنولوجية	د/محمد علي بوغازي	2006
17	اللغة والهوية والتعددية اللسانية	جماعي (مائدة مستديرة)	2006
18	أمسية شعرية للشاعر: إبراهيم صديقي	جماعي	2006
19	اللغة العربية في المهجر: الفرص والعوائق	جماعي (مائدة مستديرة)	2006
20	الإصلاح والنهضة عند الإمامين: عبد الحميد بن باديس، و محمد عبده.	جماعي (مائدة مستديرة)	2006

21	أمسية للشعراء الشباب : إحياء اليوم الوطني للطالب	جماعي	2007
22	جهود أمازيغية في خدمة اللغة العربية	جماعي (مائدة مستديرة)	2007
23	مكانة العربية في الوطنية الجزائرية	جماعي (مائدة مستديرة)	2007
24	أمسية شعرية للشاعرين : عفاف فنوح، مراد بوشحيط	جماعي	2007
25	مكانة المرآة في المجتمع التارقي	السيد : لحسن مرموري	2007
26	أهمية وضع سياسة وطنية للغات	الأستاذ . عبد الحميد مهري	2007
27	ثقافة الطفل في الأسرة	جماعي (مائدة مستديرة)	2008
28	لغة المسرح في الجزائر : الإبداع، الترجمة، الاقتباس .	جماعي (مائدة مستديرة)	2008
29	أهمية الشعر الغنائي في نشر اللغة العربيّة وفي إذكاء الروح الوطنيّة	جماعي (مائدة مستديرة)	2008
30	شخصيّة ومسار	د . عبد الله شريط	2008

الإحالات

المراجع باللغة العربية :

1– الجابري محمد عابد، الخطاب العربي المعاصر، دار الطليعة، بيروت 1982 .

2– أدونيس، علي أحمد سعيد : الثابت والمتحول، 3 أجزاء، بيروت، دار العودة، 1978–1974 .

3– محمد العربي ولد خليفة، ما هو الجديد وأين نحن من مستجداته؟، المطبوعات الجامعية 1998 .

4– محمد العربي ولد خليفة، المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، (ثالة)، الجزائر 2008 .

5– محمد العربي ولد خليفة، المسألة الثقافية .

6– د .اليحياوي يحي، العولمة والرأسمالية الإدلالية والتوزيع العالمي الجديد للمعرفة، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية 2008 .

7– بلقزيز عبد الإله، الفرانكفونية استراتيجية للاستعمار الجديد، صحيفة الخليج، 01 / 04 / 2008 .

8– تيزيني الطيب، من التراث إلى الثورة، دار ابن خلدون، بيروت 1978 .

9– د .حنفي حسن، ثورة المعلومات بين الواقع والأسطورة، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية 2008 .

10–رزاقي عبد العالي، الاستبداد اللغوي، صحيفة الشروق، 09 / 10 / 2008 .

11– زريق قسطنطين، نحن والمستقبل، دار العلم للملايين، بيروت 1977 .

12– سابير .أ، مدخل للتعريف باللغة، ترجمة سعد القاسمي 1993 .

13– د .سعد الله أبو القاسم، أتيناك طائعين، صحيفة الشروق، 23 / 09 / 2008 .

14– نجيب محمود زكي، ثقافتنا في مواجهة العصر، القاهرة 1976 .

المراجع باللغة الأجنبية :

1–Addi Louhouari; Misère de l'Intellectualisme, El–Watan 11–12–13.14/2008.

2–Addi Louhouari; Misère de l'Intellectualisme, op. cit.

3–Allen R.L.; Political Efficacity and Political Ideology: The Role of Communication in a Media–rich, Underdeveloped country, Kluwer Publisher, Neth 1991.

4–Appadurai. A; Modernity at Large, pub, university of Minus 1997.

5–Berque J.; Le Coran, p. 721 et s, ed. Sindbed, Paris 1990.

6–Berques J.; Les Arabes, p. 721 et s, ed. Sindbed, Paris 1990.

7–Bourdieu P.; Le Sens Pratique, ed. Minuit, Paris 1980

8–Brahimi A.; Omar Sera–t–il Toujours un Cancre Quotidien d'Oran, 11/09/2008.

9–Chourar S.; Tamazight entre Gesticulation et Création, El–Watan 01/07/2008.

10–Cuche D.; La Notion de Culture dans les Sciences Sociales, cole. repere, Paris 1996.

11–El–Kenz A.; Le Monde Arabo–musulman entre Modernité et Modernisation, conférence débat à la B.N., El–Watan 24/09/2008.

12–Hadjres S.; La Crise du PPA de 1949 (chevaliers de l'antiarabisme) El–Watan 29–30–31/08/1998.

13–Harbi M.; La Révolution a–t–elle été trahie, numéro Spécial, nov. obs 1984.

14–Helias, P.J.; Le Cheval de l'Orgueil, Mémoire d'un Breton du Pays Bigourdin Leon, Paris 1975.

15–Herder J.; Une Autre Philosophie de l'Histoire, A. Montaigne, Paris 1964.

16–Hudson M.; The Arab Future, critical issues, Washington, D.C and G.T. univ. 1979.

17–I.N.E.D; Rapport, Langues et Dialectes en France, Paris 2002.

18–LAI/SI TSVI; The Use of New Communication Technologies in Third World countries: A Comparison of Perspectives, mathesis publisher Nath 1993

19–Laroui A.; Islam et Modernité: la Découverte, Paris, 1987.

20–Mac–Luhan; Pour Comprendre les Médias, p. 82, Ed. Seuil, 1965.

21–Memmi A.; La Patrie Littéraire du Colonisé, Le Monde Diplomatique, Sept 1999.

22–Naba R.; Aux Origine de la Tragédie Arabe, ed. Bachari, Paris 2006.

23–Poulat; Histoire, Dogme et Critique dans la Crise Moderniste, pp. 37–41, Casterman, Paris 1962.

24–Perville Gu.; Les Etudiants Algériens de L'Université Française 1880–1962 CNRS, Paris 1986.

25–Said E.; Impossibles Histoires, Harp's 07/2002.

26–Seddiki M., Muslim Media: Present Status and Future Directions, Gazette 47, Western Illinois University.

27–Strauss L., Anthropologie Structurale, Plan, Paris 1958.